رسالة من المدينة

المنورة

إلى بنتِ الخليج



أبو طلحة محمد يونس بن عبد الستار

نزيل المدينة المنورة (زادها الله شرفًا)

(☎ مكتب ٨٣٦٨٣٨٢ منزل ٨٣٨٠٥٣٧)

مكة المكرمة ت منزل ٥٤٢٤٢٨٠ - ٥٤٥٢٥٨٠

ح أبوطلحة محمد يونس عبدالستار ، ١٤١٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
عبدالستار ، محمد يونس
رسالة من المدينة المنورة إلى بنت الخليج
٢٠٠ ص ١٢ × ١٧ سم
ردمك ٤ - ٢٢ - ٧٠٠ - ٩٩٦٠
١ - المرأة ٢ - التوبة ٣ - الوعظ والارشاد أ - العنوان
ديوي ٢١٣ ١٥/١٨٣٣

رقم الايداع : ١٥/١٨٣٣
ردمك : ٤-٢٢-٧٠٠-٩٩٦٠

فهرس الرسالة



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾

الأحزاب : ٢٨ - ٢٩

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/ ٤٨١ : هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ماعنده من ضيق الحال ، ولهن عندالله تعالى في ذلك الثواب الجزيل ، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة . اهـ .

فعلى الفتاة المسلمة

أن تقتدي بأمهات المؤمنين فتختار ما أختار الله لها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ على ما سواه لتحيا حياة طيبة كريمة وتصيب خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وهذا وعد من الله عز وجل ، وهو لا يخلف الوعد على خلقه ، وهو صادق المقال على كل حال ، وقد أعلن الله تعالى به قائلا : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

النحل : ٩٧





والصلاة والسلام على سيد المرسلين

سبب تأليف الرسالة

قال النبي ﴿ﷺ﴾ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» رواه الشيخان عن سهل بن سعد .

نظراً إلى أهمية هذا الإرشاد المبارك والنصح في الدين كتبت هذه الرسالة ذكرة لوالدتي المحترمة مخاطباً إلى بنات العالم عامة وبنات المسلمين خاصة ، وبناءً على ذلك سميتها باسم :



بدلا من «بنت الإسلام» لكي يستفيد منها جميع البنات ، المسلمات وغيرهن .

وثانيا : يحتمل أن ينتفع بها غير المسلمات أكثر من المسلمات ، لأن بعض النساء يفقن بعضهن في الفهم والذكاء والفقه كما قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ في حديثه المشهور :

«نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعىٰ من سامع» رواه الترمذي وابن ماجه كما في المشكاة (كتاب العلم) .

وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ الحجرات : ١١

«ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والإستهزاء بهم ، وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عندالله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له» قاله ابن كثير ٢١٣ /٤ .

ولأن ديننا الإسلام أعطى الفرصة لأعدائه للنظر والتبصر فقال سبحانه وتعالى لنبيه ﴿ﷺ﴾ :

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة : ٦.

قوله : ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ أى القرآن تقرأه عليه وتذكر له شيئا من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله . قاله ابن كثير .

وأعطى الفرصة لابداء أى اعتراض أو مفهوم أو برهان في نفس المعارض والمعاند فقال :

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ البقرة : ١١١.

وطلب من المشركين أن ينظروا ويتفكروا في أمر الدين تارة منفردين وتارة مجتمعين ، وذلك بعقد المجالس والندوات للتشاور في حقيقة الدين وحقيقة الداعي محمد ﴿ﷺ﴾ فقال :

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ سبإ : ٤٦

يقول تبارك وتعالى : قل يامحمد ! لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ أى إنما آمركم بواحدة ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جِنَّة﴾ أى تقوموا خالصا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضا ﴿ثم تتفكروا﴾ أى ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﴿ﷺ﴾ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر

في ذلك ... إلخ . كما في التفسير لابن كثير ص ٥٤٤ ج ٣ .

بل وأعظم من هذا وذلك أنه أعطى الثقة للمعاند ، ليتقدم ويتكلم ويحس بنفسه وبموقعه ، وبأنه كائن حي له عقله فلا بد أن يعقل ، وله فهميه فلا بد أن يفهم ، وبعد هذا التعقل والتفهم لا بد أن نسمع منه ثمرة عقله وثمرة فهمه ، فقال تعالى :

﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢٤﴾ سبإ : ٢٤ .

هكذا أمر الله تعالى نبيه محمداً ﴿ﷺ﴾ أن يقول للمشركين الذين لا دين لهم صحيح ولا عقيدة معتبرة عند الجدال والمناقشة: «أى واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق ، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ....» مابين القوسين من التفسير لابن كثير ص ٥٣٩ ج ٣ .

ومن هذا المنطلق أقدم هذه الرسالة إلى جميع البنات المسلمات وغيرهن من كن وحيث كن .

وكانت والدتي المحترمة تتمنى أن تصبح كل بنات حواء - عليها السلام - ملكات الدين ، وتسجل اسماؤهن في أحباء الدين الإسلامي السامي ، لذا فإنها أملت في آخر أيام حياتها على زوجة أخي الكبير محمد يوسف المكي - بمكة المكرمة - رسالة صغيرة ، وبينت فيها كل ماكانت تخفي في صدرها من كلام الله وكلام رسوله ﴿ﷺ﴾ ، ثم أمرتني بكتابة هذه الرسالة كتابة واضحة وطباعتها كي تستفيد منها جميع البنات والأخوات رجاء من الله سبحانه أن يرجعن إلى الله كل الرجوع .

وللأسف ! لم تخرج هذه الرسالة إلى حيز الوجود في حياتها لأن خدمتها أيام مرضها شغلتني عن المقصود ، وبعد ستة أشهر من مرضها توفيت - رحمها الله - في شهر رجب ١٤١٢هـ بمكة المكرمة بسبب فشل الكِليَة ، ودفنت في مقبرة

المعلى بمكة المكرمة قرب قبر والدتها ، قدر الله لهما ولجميع المسلمين نومة العروس في القبر آمين .

روى أن الميت إذا نجح في أسئلة الملكين - منكر ونكير - يقولان له : «نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه» رواه الترمذي في الجنائز قال الألباني : حديث حسن .

يا بشرى هذه الرسالة

أقدمها إلى جميع أخواتي في مشارق الأرض ومغاربها خلاصة كلمات والدتي المحترمة بالإضافة إليها بعض الكلام .

ونحن نتمنى أن تترجم هذه الرسالة إلى جميع اللغات وترسل إلى كل من بلاد العرب والعجم كي تحقق أمنية أمي المحترمة ، وتنام في القبر نومة هادئة .

فالرجاء من الأخوات أن يقرءن هذه الرسالة المرسلة إليهن من مدينة المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - مهبط الوحي ومأرز الإيمان ومفتاحه لفهم الغرض الأصلي لا لمضي الوقت والحصول علي التلذذ بل عليهن أن يعلمن بأنفسهن أولا ، ثم يشوّقن ويرغبن الأخوات الأخريات إلى قراءة هذه الرسالة أو غيرها من الكتب الإسلامية التي تذكر الآخرة باستمرار ، لأن الكتب ليست لزينة الدواليب بل هي ثروة حياة الإنسان وتقوية للإيمان ، وقراءتها برغبة وحب ترفع روح الإيمان ، وتكرار التذكير ينفع الإنسان كما قال تعالى :

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ الذاريات : ٥٥

وقد ذكر الله سبحانه أن من صفات المؤمنين والمؤمنات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائلا :

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ التوبة : ٧١

فإن كنتن المؤمنات أيتها الأخوات ! فعليكن بهذه الصفة أخذاً بقول الله تعالى المذكور وبقول الرسول ﴿ﷺ﴾ الآتي :

كما في الحديث الصحيح : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد – الواحد – إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى» متفق عليه كما في المشكاة باب الشفقة والرحمة على الخلق .

أختي العزيزة ! وياجوهرة الكون المكنونة ! اعلمي مكانتك في الإسلام ، قد شرفك الله بأنك والدة الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام – وأنت التي أنجبت الأولياء الكاملين والأتقياء والصالحين ، ولا شك أن كل إنسان في الدنيا ثمرة فؤادك .

وهل خلقت أنت ياأمة الله ! لتشترين الطماطم والبطاطس وغير ذلك من الخضراوات والأدوات المنزلية والأكسسوارات والمجوهرات من السوق بأرخص الأسعار ثم تبدئين وتخبرين الصديقات بأنك اشتريت كذا وكذا وتفرحين بذلك ، ولا تذكرين الله عز وجل كما كان حقه ؟

ألا ! إنك أفضل الخليقة ، ولا يليق بشأنك إلا أفضل الأمور وأحسنها ، ﴿وتَرْجُوْنَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرجُون﴾ النساء : ١٠٤ .

فـ﴿مَالَكُمْ لَا تَرْجُوْنَ للهِ وقَاراً وقَد خَلَقَكُمْ أطْوَاراً﴾ نوح : ١٣.

فإن كنتن تردن في الدنيا حسنة وحياة طيبة ، وفي الآخرة حسنة وحياة طيبة فتحلين بالإيمان وابذلن الجهد ، واقدرن حياتكن وأنفاسها المعدودات حق قدرها ، لترضين الخالق جل وعلا ورسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه كما هو شعار المؤمنين والمؤمنات قال تعالى :

﴿واللّهُ ورَسُوْلُهُ أحَقُّ أنْ يُرضُوهُ إنْ كَانُوا مُؤمِنِينَ﴾ التوبة : ٦٢ .

وياأختي العزيزة ! قد وهب الله تعالى لكل إنسان أنفاساً معدودات ، فإذا أنفقها الإنسان في اكتساب الخيرات بعقل

وشعور ، فلا حد لمنافعه في حياته وبعد موته ، وبالعكس إذا أنفقها في أمور شنيعة وقبيحة وما قدرها حق قدرها ، فقد ضاع رأس المال كله - وهو حياته وأنفاسه - فضلا أن ينال به المنافع الدنيوية والأخروية ، بل يعد هذا الإنسان من طائفة المجرمين الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله فيصير به لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا والانتفاع بها من الأكل والشرب كما قال تعالى في هؤلاء المجرمين :

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ المرسلات : ٤٦

وقال : ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ مريم : ٨٦

نعوذ بالله من ذلك .

والذي لم يصرف رأس ماله هذا (أى عمره) في أمور مفيدة فقد فَقَدَ المنافع ورأس المال جميعا .

وما هذا تمثيل فقط بل يؤيده الحديث الصحيح : «........كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها» .

صحيح مسلم «كتاب الطهارة» باب فضل الوضوء رقم : ٢٢٣

وقد سيق هذا الاطلاق في كتاب الله أيضا وعبر عن الإيمان والعمل الصالح بالتجارة كما قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ الصف : ١٠

فإذا كان رأس المال هو العمر والإنسان يتجر به فإن التاجر الكيس والعاقل الذكي هو الذي يستفيد من شيء زائل وفان في كل لحظة لئلا يكون من الخاسرين والخائبين في الدنيا والآخرة.

يحكى أن شيخا ذهب عند بائع الثلج فقال : قد فهمت تفسير سورة العصر بتجارة بائع الثلج هذا ، بأنه لو غفل هذا البائع عن تجارة الثلج وبيعه فقد ذهب رأس ماله كله بشكل الماء .

فلذا أقسم الله سبحانه بالعصر أى بالزمان ونبه بقوله :

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ العصر : ١ - ٣

وقال الشاعر :

حياتك أنفاس تعدُّ فكلما مضى نفَسٌ منها انتقصتَ به جزءا

فعليك ياأختي ! أن تشغلي نفسك في تقوية الإيمان والأعمال الصالحة على كل حين لئلا تزداد حسرتك وندامتك وحزنك يوم يعض الظالم على يديه ويقول ياليتني لم أتخذ فلانا خليلا .

ففكري ياأختي واختاري الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة مادمت في قيد الحياة في دار الاختيار لم تطو صحيفتك وإلا:

فالزمان كالمرأة الحبلىٰ سوف ترين ما تضع

وقال الشاعر :

وسوف ترى إذا انكشف الغبار أفرس تحت رجلك أم حمار

وقال تعالىٰ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الكَذَّابُ الأشِرُ﴾ القمر : ٢٦

فالبدار البدار فيما ينفعك ياأختي ! ويرفع قدرك عندالله ، وإياك والتسويف فإنه شر، والإنسان معرض للآفات والشواغل الكثيرة.

وقال ابن الجوزي رحمه الله : هذا العمر اليسير يشترى به الخلود الدائم في فراديس الجنان ، والبقاء الذي لا ينقطع كبقاء الرحمن ، ومن فرط في العمر في الخسران ، فياخيبة ! المفرط الحيران ، فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره ، وأن ينظر لنفسه في أمره ، فيغتنم مايفوت استدراكه وربما حصل بتضييعه هلاكه اهـ .

وهذا الشاعر ينبهنا ونفسه على الاستعداد للآخرة ويقول :

محمد ما أعددت للقبر والبلى ... وللملكين الواقفين على القبر
وأنت مصر لا تراجع توبة ... ولا ترعوي عما يذم من الأمر
سيأتيك يوم لا تحاول دفعه ... فقدم له زاداً إلى البعث والنشر

وأخيراً أرجوك ياأختي ! إذا دعوت لنفسك أو للأقارب فادعى لوالدتي المحترمة ، واقرىء سورة الإخلاص بإخلاص مرة واحدة أو ثلاث لأنها ثلث القرآن :

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

ثم اهدي ثوابها[1] إلى والدتي (عائشة رحمها الله) لو تفعلين اليوم هكذا يفعل الله بك غدا مثله لأن الله لا يضيع أجر المحسنين و ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ الرحمن : ٦٠ .

وصل اللهم وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

ابن عائشة
أبوطلحة محمد يونس عبدالستار
ص ب : ١١٠١ المدينة المنورة
ت مكتب ٨٣٦٨٣٨٢ (٤-٠٠٩٦٦)
فاكس ٨٣٨٣٤٢٦ - منزل ٨٣٨٠٥٣٧
المملكة العربية السعودية

---

(١) قال النووي رحمه الله في مؤلفه «كتاب الأذكار» باب ماينفع الميت من قول غيره : اختلف العلماء في وصول الثواب بقراءة القرآن ، فالمشهور من مذهب الشافعي وجماعة أنه لايصل، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى أنه يصل ، فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه : «اللهم أوصل ثواب ماقرأته إلى فلان» والله أعلم . انتهى ماقاله النووي رحمه الله تعالى .



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين .

بنت الخليج العزيزة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

أختي العزيزة ! ياأمة الله ! يامحمية هذا الدين ! ويأمل هذه الأمة المحمدية ! وياجوهرة هذا المجتمع !

اعلمي ! أن الله سبحانه قد كرمك وهداك لهذا الدين الإسلامي ، وشرفك بنعمة كلمة التوحيد - لا إله إلا الله محمد رسول الله - ﴿ﷺ﴾ ، فلو أن رجلا من الناس كان يملك جوهرة من الجواهر السنية لحفظها وأبعدها عن أعين الحاسدين .

فالله سبحانه وتعالى أنزل في كتابه سوَراً عديدة ، وبعض من هذه السور سماها باسمه المبارك كسورة الرحمن ، وسورة المؤمن ، ومنها : باسمُ حبيبه المصطفى ﴿ﷺ﴾ كسورة محمد ، وياسين ، والمزمل ، والمدثر ، ونزول السورة من فوق سبع سماوات باسم أحد يدل على عظمته عندالله سبحانه .

وخصك الله أيتها المرأة ! وأنزل الله سورة كاملة باسم «سورة النساء» ، وهذا إن دل على شيىء فإنما يدل على عظمة شأنك عندالله سبحانه ، ولا نجد في القرآن سورة الرجال كما نجدها

باسم «سورة النساء» ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وكذلك شرفك الله أيتها المرأة ! وأنزل الله سورة في القرآن باسم السيدة مريم العذراء بعينها كـ«سورة مريم» وهي المرأة الوحيدة التي ذكر الله اسمها في القرآن ، وأنزل سورة كاملة باسمها لعظم شأنها وطهارة قلبها وعفة جوارحها ، وهكذا أنزل الله سبحانه في القرآن باسم «سورة المجادلة» ، وبيَّن فيها بعض المسائل المتعلقة بالنساء استغاثة لامرأة بائسة التي كانت تجادل الرسول ﴿ﷺ﴾ في زوجها وتشتكي إلى الله وتبكى ، وقد بدأ الله سبحانه هذه السورة قائلا :

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ①﴾ المجادلة : ١ .

ولهذه المرأة قصة غريبة ذكرها الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤ /٣١٩ وقال : «لقيتْ امرأة عمرَ يقال لها : خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته فوقف لها ودنى منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت ، فقال له رجل : ياأمير المؤمنين ! حبست رجالات قريش على هذه العجوز ، قال : ويحك وتدري من هذه ؟ قال : لا ، قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله ! لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفتُ عنها حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها . اهـ .

وفي رواية : أتدري من هذه ؟ هذه خولة بنت حكيم الذي سمع الله صوتها من السماء ، فعمر أحرى أن يسمع قولها ويقتدى به .

وهل تعرفين يأمة الله ! من أول من آمن من كافة الناس ذكرهم وأنثاهم ؟ نعم ، إنها والدتك أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، أول قلب خفق بالإيمان برسالة محمد ﴿ﷺ﴾ ، وهي أمّكن يا أخواتي ! خديجة بنت خويلد التي آمنت برسول الله ﴿ﷺ﴾ إذ كفر الناس به ، وصدَّقته إذ كذَّبوه ، وواسته إذ حرموه ، فكانت خير عون له ﴿ﷺ﴾ في تثبته أمام الصعاب الشدائد ، وهي أول امرأة قرأ عليها جبريل السلام من ربِّها وبشَّرها ببيت في الجنة كما في الحديث الآتي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : يارسول الله ! هذه خديجة قد أتت ومعها أناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرء عليها السلام من ربها ومنِّي ، وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب (أى لؤلؤ مجوف واسع كالقصر) لا صخب فيه ولا نصب» متفق عليه .

وكيف ننسى هذه المرأة الصالحة عرفها تاريخ الإسلام بأم المؤمنين السيدة خديجة وموقفها من النبي ﴿ﷺ﴾ حينما أسلمت على يديه وواسته وشجعته عند نزول آيات الوحي الأول فرجع بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ من غار حراء وهو يرجف بوادره ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال ﴿ﷺ﴾ : «زمِّلوني زمِّلوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي .... فقالت خديجة (تسلية له ﴿ﷺ﴾) : كلَّا والله مايخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ....» طرفا من الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه .

سبحان الله ! ثم لتشجيع زوجها سيد الرسل ﴿ﷺ﴾ مرة ثانية ولمزيد من التسلية له تذهب به ﴿ﷺ﴾ إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل ، «وكان امرءً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء أن يكتب»

وكيف لانخاطب المرأة

لقد رفع النبي ﴿ﷺ﴾ من شأنك على كل نعيم الدنيا فقال : «خير متاع الدنيا المرأة الصالحة» رواه مسلم في كتاب الرضاع .

والمرأة المسلمة هي المرأة العالمة ، فهذه أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما زوج النبي ﴿ﷺ﴾ ، الفقيهة الرَّبانية ، المبرأة من فوق سبع سماوات .

ألا ! أنها ملأت أرجاء الأرض عِلماً ، وقال الزهري عنها : «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل» .

وأخرج ابن سعد ٤ /١٨٩ : «...... قال : كانت عائشة رضي الله عنها أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾» .

وعنده أيضاً عن أبي سلمة قال : مارأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه ، ولا أعلم بآية فيما نزلت ، ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها .

وأخرج ابن سعد ٤ /١٨٩ عن محمود بن لبيد قال : كان أزواج النبي ﴿ﷺ﴾ يحفظن من حديث النبي ﴿ﷺ﴾ كثيراً ، ولا مثلا لعائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، وكانت عائشة تفتى في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى أن ماتت يرحمها الله ، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ عمر وعثمان بعده

يرسلان إليها فيسألانها عن السنن» اهـ . حياة الصحابة ٣/ ٧٩٩ .

وتأملي أختي العزيزة ! الموقف العظيم الذي وقفته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، وكيف استطاعت بذكاءها الخارق وحكمتها الربانية أن تخرج برأيها ومشورتها النبي ﴿ﷺ﴾ والمسلمين من القلق والاضطراب الشديد الذي خفي على كثير من الرجال الأكابر من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، وذلك حينما خرج رسول الله ﴿ﷺ﴾ يريد العمرة وزيارت البيت ولا يريد قتالا ، فمنعهم أهل مكة عن أداء العمرة فغضب المسلمون غضباً شديداً حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غماً وقلقاً .

وذكر قصة الحديبية الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤ / ٢٠٠ كما رواه البخاري في صحيحه من رواية الزهري وهي :

قال الزهري قال عمر رضي الله عنه : .... قال : لما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لأصحابه : «قوموا فانحروا ثم احلقوا» قال : فوالله ماقام منهم رجل (لشدة الغضب والغم) حتى قال ﴿ﷺ﴾ ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل ﴿ﷺ﴾ على أم سلمة رضي الله عنها ، فذكر لها مالقي من الناس ، قالت له أم سلمة رضي الله عنها : يانبي الله ! أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأو ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غماً ...» اهـ .

فانظري يا أمة الله ! إلى ذكاوة أمك السيدة أم سلمة رضي الله عنها كيف أخرجت بمشورتها الأمة المسلمة من قلق واضطراب الذي خفي على كثير من الرجال من أصحاب محمد ﴿ﷺ﴾ .

أختي الفاضلة : وهذه أمك أم حبيبة زوج النبي ﴿ﷺ﴾ لقد سجل التاريخ لها موقفاً من مواقف الإيمان لم تزل الدنيا تردده فقبيل فتح مكة جاء أبو سفيان والدها إلى المدينة النبوية ليصلح ما أفسدته قريش حين أعانت بكراً على خزاعة ونقضت عهد الحديبية ، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله ﴿ﷺ﴾ ليستشفع بها إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، وتفأجأت بدخوله بيتها ، وهي التي لم تكن رأته مذ هاجرت إلى الحبشة ، فوقفت واجمة بعد أن نمى إليها خبر نقض قريش للعهد ، فلما رآها على حالها من الوجوم أعفاها من السلام ، وذهب ليجلس على فراش رسول الله ﴿ﷺ﴾ دون استئذان فأسرعت وسحبت الفراش وطوته ، فبهت لما رأى من فعلها ، وقال : يابنية ! ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت بهذا الفراش عني ؟ فأجابته : بل رغبت بهذا الفراش عنك . هو فراش رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﴿ﷺ﴾ . فكانت صدمة شديدة الوقع على نفسه لم يكن يتوقعها من أقرب الناس إليه فرد عليها قائلا : لقد أصابك بعدي يابنية ! شر .

ولا بد من وقفة تأمل . ترى هل أم حبيبة رضي الله عنها تجهل مكانة الأب في القلب ؟ أم أنها تعلم ؟ فلم إذاً تتصرف هذا التصرف ؟ لقد حزنت على أبيها كيف آثر الكفر وهي

تتمنى إسلامه وتخليصه من الشرك . فلم يكن أمامها أن تصنع إلا الذي صنعته لتريه أن الإسلام فوق مكانة الأبوة والبنوة ، وكم كانت تتمنى أن يتمكن الإيمان من قلب أبيها بعد نزول قوله تعالى :

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

الممتحنة : ٧

ولقد حقق الله أمنيتها ومنَّ على أبيها بالإسلام فأسلم وغدا من الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١٩﴾ المائدة : ١١٩

أختي الفاضلة ! وهل تعرفين من أجبر سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه على أن يقول : «أصابت امرأة وأخطأ عمر» أو قال : «كل أحد أفقه من عمر» .

قد ذكر هذه القصة ابن الجوزي في مؤلفه : «تاريخ عمر بن الخطاب» رضي الله عنه ص ١٧٣ وهي :

في أثناء خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد فتح الله على المسلمين أراضي كثيرة واتسعت أرزاقهم ، فغالى الناس في المهور ، فخاف عمر مغبة ذلك ، وأراد أن يضع حداً معيناً للمهر لا يتعداه الناس ، فصعد على المنبر وقال : أيها الناس ! لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية من الذهب وإن كانت بنت ذي القصعة - وكان يعني بذلك يزيد بن الحصين وكان في ذلك الوقت أغنى الأغنياء - فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال» .

فردت عليه امرأة من صف النساء المتواجدات في المسجد قائلة : «كيف تصنع هذا ياعمر ؟! والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠﴾ النساء : ٢٠

فما كان من عمر إلا التراجع عن قوله قائلا : «أصابت امرأة واخطأ عمر» اهـ.

وفي رواية : فقال عمر : «كل أحد أفقه من عمر» مرتين أو ثلاثة ، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس : «إني نهيتكم أن تغالوا في صدق النساء ، ألا ! فليفعل رجل في ماله مابدا له» أخرجها سعيد بن منصور في سننه ١ /٣ /١٦٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٧ /٣٣٣ .

وذكر صاحب المشكاة في «الإكمال في أسماء الرجال» في ترجمة سيدنا عمر رضي الله عنه وقال :

قال داود بن الحصين والزهري : «لما أسلم عمر نزل جبريل فقال : يامحمد ! استبشر أهل السماء بإسلام عمر» اهـ .

وروى ابن أبي خيثمة حديث عمر نفسه قال : «لقد رأيتني وما أسلم مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلا تسعة وثلاثون رجلا فكملتهم أربعين ، فأظهر الله دينه وأعز الإسلام» ذكره الحافظ في الفتح ٧ /٥٩ .

وروى البزار نحوه من حديث ابن عباس وقال فيه : «فنزل جبريل فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤﴾ الأنفال : ٦٤ . كما ذكره الحافظ في الفتح ٧ /٥٩ .

وروى ابن أبي شيبة والطبراني .... قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «كان إسلام عمر عزاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة ، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر» فتح الباري ٧ /٥٩ .

وروى ابن أبي شيبة في تاريخه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفي آخره : «فقلت : يارسول الله ! ففيم الاختفاء ؟ فخرجنا في صفين : أنا في أحدهما ، وحمزة في الآخر ، فنظرت قريش إلينا فأصابهم كآبة لم يصبهم مثلها» راجع الفتح ٧ /٥٩ .

وروى ابن سعد من حديث صهيب قال : «لما أسلم عمر قال

المشركون : انتصف القوم منا» فتح الباري ٧ /٥٩ .

هل تعرفين أختي الكريمة ! من كان سبباً في دخوله (أى عمر) للإسلام ؟ ألا ! إنها فاطمة أخت عمر ، وهي المرأة التي ضربت أروع الأمثلة في الصبر والثبات وقوة الإيمان واليقين .

أخرج قصة فاطمة أخت عمر هذه ابن سعد ٣ /١٩١ عن أنس رضي الله عنه قال : خرج عمر رضي الله عنه متقلداً السيف فلقيه رجل من بني زهرة قال : أين تعمد ياعمر ؟ فقال : أريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة إذا قتلت محمداً ؟ قال : فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبأت وتركت دين الذي كنتَ عليه ، فقال : أفلا أدلك على ما هو أعجب من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أختك وختنك قد صبَوا وتركا دينك الذي أنت عليه ، قال : فمشى عمر ذامراً - متهدداً - حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب - رضي الله عنه - قال : فلما سمع خباب حِسَّ عمر توارى في البيت فدخل عليهما فقال : ماهذه الهَيْنَمةُ - الكلام الخفي الذي لا يفهم - التي سمعتها عندكم ؟ قال : وكانوا يقرءون : «طه» ، فقالا : ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا ، قال : فلعلكما قد صبوتما؟ قال : فقال له ختنه : أرأيت ياعمر ! إن كان الحق في غير دينك ؟ فوثب عمر على ختنه فوطأه وطأً شديداً فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمَّى وجهها ، فقالت - وهي غضبي - : ياعمر ! إن كان الحق في غير دينك ! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فلما يئس عمر قال : أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه ، قال : - وكان عمر يقرأ

الكتب - فقالت أخته : إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ ، قال : فقام عمر فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب فقرأ :

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾

حتى انتهى إلى قوله إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ

طه : ١ - ١٤

قال : فقال عمر : دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال : أبشر ياعمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﴿ﷺ﴾ لك ليلة الخميس : «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام» ....

وفي آخره : قال : فخرج رسول الله ﴿ﷺ﴾ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال : أما أنت بمنتهٍ ياعمر ؟! حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ماأنزل بالوليد بن المغيرة ؟ اللهم ! هذا عمر بن الخطاب ، اللهم ! أعز الدين بعمر ابن الخطاب» قال فقال عمر : أشهد أنك رسول الله فأسلم . كذا في العيني ٨ /٦٨ .

وفي رواية للبزار كما في حياة الصحابة ١ /٤٤١ عن أسلم مولى عمر قال : قال عمر وفيه :

فلما فتحت لي أختي (فاطمة) الباب قلت : أيا عدوة نفسها! صبَوتِ ؟ قال : وأرفع شيئاً فأضرب به على رأسها ، فبكت المرأة وقالت : يا ابن الخطاب ! اصنع ما كنتَ صانعاً فقد أسلمت» إلى آخر الحديث .

انظري أختي العزيزة إلى ثبات فاطمة أخت عمر رضي الله عنهما على دينها وجرأتها أمام أخيها عمر الذي قال في حقه المشركون عند إسلامه : «انتصف القوم منا» وهي تقول لأخيها كما قال صاحب ياسين لقومه مؤيداً لنبيه وناصراً له آنذاك كما قال تعالى حكاية عنه :

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥﴾ فجاد بنفسه في سبيله سبحانه فقال له تعالى : ﴿ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾ يس : ٢٦ - ٢٧.

وهكذا نجد نساء الصفوة الأولى هاجرن مع أزواجهن وشاركن معهم الجهاد قولا وعملا وبعثن بأزواجهن وأفلاذ أكبادهن إلى معارك الجهاد بكل فرح وسرور ابتغاء مرضات الله تعالى .

وقد سجل التاريخ للسيدة سميّة رضي الله عنها في صفحاته البيضاء أسمى معاني الصور لأول امرأة إريق دمها في الإسلام .

وهذه أسماء بنت أبي بكر مثال المرأة الحرَّة الأبيَّة التي دفعت بولدها إلى طريق الشهادة وحرَّضته على الصمود أمام قوي الجبروت والطغيان ، ليموت مِيتة الأحرار الكرام .

وهذه صفية بنت عبدالمطلب التي دفعت بنفسها إلى غمار الوغي ، لتدفع يهود عن أعراض المسلمين .

وهذه السيدة الخنساء التي جادت بأولادها الأربعة في سبيل الله وعندما جاءها نبأ استشهادهم قالت : الحمد لله الذي شرَّفني باستشهادهم ، وإني لأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .

وهذه ابنة سعيد بن المسيب لما أن دخل بها زوجها ، وكان من أحد طلبة العلم ، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج

فقالت له زوجته : إلى أين تريد ؟ وإلى أين أنت ذاهب ؟ قال : إلى مجلس سعيد بن المسيب أتعلم العلم ، فقالت له : اجلس أعلّمك علم سعيد ، فوجد عندها ماكان يتعلمه من سعيد بن المسيب رحمه الله .

الله أكبر ! ما أعظم ابنة سعيد وما أكبر شأنها حين أصبحت معلمة الرجال وشيخة بعلها .

يحكى أنه قال أحدهم : خرجت يوما إلى السوق ومعي جارية حبشية ، فاحتبستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي وقلت : لا تبرحي حتى أنصرف إليك ، قال : فانصرفت فلم أجدها في الموضع ، فانصرفتُ إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها ، فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي فقالت : يامولاي ! لا تعجل عليَّ ، إنك أجلستني في موضع لم أر فيه ذاكرا لله سبحانه ، فخفت أن يخسف الله بذلك الموضع ، يقول : فعجبت لقولها وقلت لها : أنت حرَّة لوجه الله تعالى ، فقالت : بئس ما فعلت ، كنت أخدمك فيكون لي أجران ، وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما .

انظري ياأختاه ! إلى فكرة جارية حبشية وهي في السوق ، وتحب أن يذكر ربها على كل حين وعلى كل موضع من السوق أو المسجد أو البيت ، فهذا هو شعار عباد الله الصالحين كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ النور : ٣٧

وقال أبو العلاء السعدي : كانت لي ابنة عم يقال لها : «بريرة»

تعبدت وكانت كثيرة القراءة في المصحف ، فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت ، فلم تزل تبكى حتى ذهبت عيناها من البكاء ، فقال بنو عمها : انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نعدلها في كثرة البكاء ، قال : فدخلنا عليها فقلنا : يابريرة ! كيف أصبحت ؟ قالت : أصبحنا أضيافاً منيفين بأرض غربة ننتظر متى نُدعىٰ فنجيب ، فقلنا لها : كم هذا البكاء ؟ وقد ذهبت عيناك منك ، فقالت : إن يكن لعينيَّ عندالله خير فما يضرهما ماذهب منهما في الدنيا ، وإن كان لهما عندالله شر فسيزيدهما بكاءاً أطول من هذا ، ثم أعرضت فقال القوم : قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه .

وقال الشاعر في اللغة الأردية في صفات النساء الصالحات ونعم ماقال وهذه ترجمته :

أمهاتي وأخواتي وبناتي ! إن الدنيا وزينتها ماهي إلا بوجودكن ، أنتن عمار الأوطان ، وشرف الأقوام لايوجد إلا بوجودكن .

أنتن رئيسات البيوت وعمران البلدان ، ومسرات للقلوب الحزينة والأفراح والسرور في الأحزان لايوجد إلا بحول الله سبحانه ثم بوجودكن .

والأوطان غربة ووحشة إذا لم توجد النساء ، والحدائق مخربة ولا توجد لذة الحياة في السفر ولا في الحضر إلا بفضل الله ثم بوجودكن ومرافقتكن .

أنتن أيتها النساء ! صورة البر والتقوى ، وتدبير العفة والمعافاة ، وأنتن حافظات الدين ، ولا يكمل الإيمان إلا بوجودكن ، إشارة إلى قوله ﷺ : «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فاليتق الله في النصف الباقي» رواه البيهقي في الشعب كما في المشكاة كتاب النكاح .

والحياء من فطرتكن أيتها البنات ! والمحبة والوفاء من جبلتكن ، الصبر والرضا من أصلكن ، والإنسان عبارة بوجودكن .

أنتن محبات للأزواج ومونسات للأولاد والأطفال ، والبيوت خربة ودمار ولا توجد السعادة والراحة فيها إلا بوجودكن .

ولكن مع الأسف : لا يفرح أحد من الوالدين وقت ولادتك إلا ماشاء الله ، وأكثر ما يطلب الإنسان من الله هو الذكر لا الأنثى ، وذلك إشارة إلى قوله تعالى :

﴿وإذَا بُشِّرَ أحَدُهُمْ بِالأنثىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَداً وهُوَ كَظِيمٌ﴾ النحل : ٥٨

أختي ! تفكري معي ، كيف كانت هذه النساء قد ذكرهن الله سبحانه في كتابه من فوق سبع سموات ، وأثنى عليهن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولا يعبأ الرجال أن يفتخروا بمثل هؤلاء اللاتي أمتلأت لهن صحائف الكتب ذكراً حسناً وسجل التاريخ لهن أعمالا خالدةً .

ألا تحبين أختي الكريمة ! أن تكوني في زمرة هؤلاء البنات الصالحات القانتات التائبات العابدات حتى يسجِّل التاريخ لك أعمالا خالدة ، وتكون لك عند الله منزلة رفيعة .

أختي العزيزة ! تأملي بعين البصيرة والاعتبار حال كثير من النساء في هذا الزمان ، ينزلن إلى الأسواق لحاجة أو لغير ما حاجة ، بل وربما لأمور تافهة ساقطة ثم لا يخفن الله ، ويفعلن ما يفعلن ، بل وربما تبرجن – تبرج الجاهلية الأولى – بل ولربما تعطرن وتزينَّ في نزولهن إلى الأسواق أكثر من تزينهن لأزواجهن بل ولربما نزلن مع الرجال الأجانب وتمايلن

ذات اليمين وذات الشمال . وقد قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ :

«أيما امرأة استعطرت ثم خرجت ، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» صحيح الجامع : ٢٧٠١ . رواه الإمام أحمد .

ويشعر المرء من جراء مايحدث في الأسواق أن تبلع الأرض السوق بمن فيه .

فسبحان من يمنع البحر ويكفه عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها .

كما يدل على ذلك ماذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .... عن العوام بن الحوشب قال : حدثني مرابط : قال : خرجت ليلة لمحرسي لم يخرج أحد من الحرس غيري فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل إليَّ أن البحر يشرف يحاذي رؤوس الجبال ، فعل ذلك مراراً وأنا مستيقظ ، فلقيت أبا صالح فقال : حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عزوجل» راجع التفسير لابن كثير ٢٤١ / ٤ .

انظري ياأختاه ! إلى شئوم ذنوبك وذنوب الرجال إلى أين تصل؟ تصل البر والبحر فيغضب بها فيستأذن ربه أن يغرق أهل الأرض جميعا فلم يؤذن الله له رحمة بعباده .

وتصديق ذلك الشئوم التي تصل إلى مشارق الأرض ومغاربها بسبب ذنوب العباد من الرجال والنساء في قوله تعالى :

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ الروم : ٤١

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٣٦ / ٣ : ومعنى قوله تعالى :

﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ أى بأن النقص في الزورع والثمار بسبب المعاصي .

وقال أبو العالية : من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة . ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : «لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً» .

والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات ، وإذا تركت المعاصي كان سببا في حصول البركات من السماء والأرض .

ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية وهو تركها فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف ...... قيل للأرض أخرجي بركتك فيأكل من الرمانة الفئام من الناس ويستظلون بقحفها ، ويكفى لبن اللقحة الجماعة ، وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة محمد ﷺ ، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير ، ولهذا ثبت في الصحيحين : «أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب .

وقال الإمام أحمد .... عن أبي مخذم قال وجد رجل في زمان زياد أو ابن زياد صرة فيها حب يعنى من بر أمثال النوى مكتوب فيها هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل . اهـ من التفسير لابن كثير رحمه الله ٣/ ٤٣٦ .

اعلمي ياأختي ! أن للمعصية شئوماً على كل شيء على النفس والزوجة والأولاد والدابة في البيت ، ولهذا قال الفضيل بن عياض :

«إني لأعصي الله ، فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمتي وامرأتي وفأر بيتي» البداية والنهاية لابن كثير ١٠ /١٩٩ .

وقال مجاهد : «إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتد الجدب ، وأمسك المطر وتقول : هذا بشئوم معصية بني آدم» كما في الجواب الكافي ص ٩٠ .

وقال عكرمة : «دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس يقولون : منعنا القطر بذنوب بني آدم» كما في الجواب الكافي ص ٩٠ .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : «إن الحبارىٰ تموت في وكرها من ظلم الظالم نفسه بالعصيان والمعصية» نفس المرجع .

أختي العزيزة ! هذا ماقيل في شئوم ذنوبنا نحن ، وقد أصبحت المرأة العصرية تشتري من السوق بمال الله تعالى ما لم يبحه الله لها ولا تحمد وتثنى على هذه النعمة والعطية حينما تستعمل بكل جرأة ما حرمه الله ، مثله كمثل الملك الذي أعطى لعبده السيف جائزة له ، فهذا العبد الجائر يهجم بهذا السيف على الملك ولا يبالي ، فبئس العبد هذا بأن مولاه ينعم عليه بالمال وهو يهجم عليه بإنفاقه في سبيل الغي .

وصدق الله العظيم : ﴿قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَه﴾ عبس : ١٧

وصدق الله العظيم : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٢﴾ فاطر : ٣٢

يا أسفىٰ على هؤلاء البنات ! تلك لا تعرف من العلم شيئاً لكن إن سئلت عن ألحان الغناء أو التمثيل أو الفيلم لأجابت وبغاية الفصاحة نطقت ، ولو سئلت عن بعض سنن الرسول ﷺ أو الأدعية المأثورات لما نطقت وتكون مثل هؤلاء الذين

قال الله تعالى في شأنهم :

﴿صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة : ١٧١ .

ويأسفىٰ على هؤلاء البنات ' يجدن الوقت والساعات لتزيين أجسادهن وتجميلها أمام المرايا الطويلات ، ولكن لا يجدن فرصة للصلاة ولا لتعليم الدين فكيف لا تتمنى الأرض أن تبلع مثل هؤلاء النساء .

ويأسفى على هذا اللسان الذي أصبح عاجزاً عن قراءة القرآن أحسن الحديث وحفظه وتعلم أحكامه .

ويأسفى على هذه العين التي تقصر عن رؤية الكلمات التي نظر إليها رسول الله ﴿ﷺ﴾ من القرآن الكريم .

ويأسفى على الأذن التي سماعها نغمات الأبيات من أصوات القينات الفاحشات .

ويأسفى على هذه الأيدي التي تأخذ المجلات الفاحشة والقصص الشنيعة بدلا عن القرآن وكتب الحديث .

ويأسفى على الأقدام التي تمشي إلى دور الأندية والتمثيل ومقاعد الشيطان بدلا عن المساجد ومجالس العلم والمعرفة .

تأملي ياأختي ! أن كل ما تفعلين يكتب ويسجَّل في صحيفة أعمالك عندالله حتى خطاك بأرجلك وأثرها تمشين بها إلى السوق أو إلى المسجد ومجالس العلم والمعرفة كما قال تعالى :

﴿ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوْا وَءاثَارَهُم﴾ يس : ١٢ .

قالُ الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ٥٦٦ /٣ : أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية .

وقال قتادة : لو كان الله عز وجل مُغْفِلا شيئا من شأنك يا ابن

آدم ! أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار ، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته ، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل اهـ .

وصدق الله العظيم في شأن هؤلاء الغافلين :

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف : ١٧٩

تفكري ياأختاه ! هل كتب القدر بأنك مطرودة عن رحمة الله إلى هذا الحد وما أنت بموفقة لأعمال أهل البر والتقوى ؟

وتفكري أيضاً : هل أنت مصداق هذه الآية : ﴿أولئك الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ المائدة : ٤١ .

وتأملي ! ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الحديد ١٦.

فإذا لم تجدى خشية الله في قلبك ولا ترجعين إلى ربك بعد الإيمان بالله وبرسوله ﴿ﷺ﴾ : ف﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُم إن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة : ٩٣.

وقد قال النبي ﴿ﷺ﴾ ذات يوم لأصحابه : «استحيوا من الله حق الحياء» قالوا : إنا نستحي من الله يانبي الله ! والحمد لله ، قال : ليس ذلك ، ولكن من استحي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعىٰ ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلىٰ ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء» رواه أحمد والترمذي كما في المشكاة باب تمنى الموت .

وتذكري ياأختي ! أن الله سبحانه يقول :

وقد روى الحافظ ابن عساكر ..... عن مكحول قال : قال النبي ﴿ﷺ﴾ : «يقول الله تعالى : ياابن آدم ! قد أنعمت عليك نعما عظاماً لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك أن جعلتُ لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللتُ لك ، وإن رأيت ما حرمتُ عليك فأطبق عليهما غطاءهما ، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً ، فانطق بما أمرتك وأحللتُ لك ، فإن عرض عليك ماحرمت عليك فأغلق عليك لسانك ، وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً ، فأصب بفرجك ما أحللتُ لك ، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك ، ابن آدم ! إنك لا تحمل سخطي ولاتطيق انتقامي» راجع التفسير لابن كثير ٤ /٥١٣.

ولا شك أن الإنسان قد أنعم الله عليه نعماً كثيراً لا يحصى عددها ولا يطيق شكرها .

فانظري يا أختاه ! إلى نعمة الأيدي وإلى الأفعال التي تصدر بهما في حياتك .

وهذه قصة عجيبة وغريبة عرضت لي في الحرم النبوي الشريف بمدينة المصطفى ﴿ﷺ﴾ ، فإن في ذلك لعبرة لمن اعتبر وإلا فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

وقال الشاعر :

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

قال الراقم : بينما نحن في الحرم النبوي الشريف ذات ليلة إذ طلع علينا رجل نحيف مقطوع اليدين إلى الإبطين ، متزين

الوجه باللحية حسب شريعتنا البيضاء ، يتميّل إلى الجانبين عند مشيه ، وكان معه رجل يقوده واضعاً يده على عنقه لكي لا يتميل عند المشي ويخر ، جلس في المسجد إلى جنبي الأيمن وأنا أنظر إليه وأتفكر فيه حتى أقيمت صلاة العشاء ، فلما رجعت إلى بيتي بعد الصلاة ودخلت الفراش أتقلب على فراشي ذات اليمين وذات الشمال حتى لم أكتحل بالنوم تلك الليلة وأنا متفكر في حالته هذه وأقول :

هل هو يقدر أن يأكل شيئا أو يشرب المشروب بنفسه ؟

هل له أن يلبس الثياب ويخلعها حينما يريد ؟

هل له أن يزمل جسده بالبطانية في ليالي الشتاء بنفسه ، والإنسان يحتاج إليه في الليل مرات كثيرة ؟ فمن يترك فراشه الناعم ويقيم ليغطي هذا العبد المحتاج في ليالي الشتاء .

هل يقدر أن يطهر جسده بالماء بغير معين ؟

هل له أن يحك داخل الأذن والأنف بالأصبع أو يدعو معينا له أو خادماً لهذا العمل .

هل له أن يحك أي عضو من جسده أو يرغم جسده بالأرض أو بالجدار ليقضي حاجته ؟

وكيف يغسل وجهه هذا العبد العاجز ؟

وكيف يمسح النوم عن وجهه وهو مقطوع اليدين إلى الإبطين ؟

وهل له من زوجة يلعب معها وتلعب معه ؟

أنّىٰ له ذلك كله ؟ إلا ما شاء الله ، ولكن في الجنة له كل شيء إذا صبر واحتسب على حالته هذه إن شاء الله .

وهل هو يقدر أن يفتح باب بيته المقفل أو ينتظر غيره ؟

وكيف يجده شاكراً أو كفوراً هذا العبد الضعيف ؟

وكيف يكون ظنه بربه سبحانه ؟

وهل ..... ؟ وهل ..... ؟ وكيف ...... ؟ وكيف ..... ؟ لا تعد ولا تحصى .

كلا لا يقدر على أي شيء يستعمل فيه الأيدي ليقضي حاجته بنفسه إلا بتعاون غيره .

وقلت في نفسي : أبحث عن هذا العبد غداً في الحرم النبوي الشريف إن شاء الله ، فإذا وجدته أسأله عن حالته هذه وأسأله كيف يجد نفسه بربه سبحانه ؟

فلما كان من اليوم الثاني أتيت الحرم النبوي الشريف أبتغي هذا الرجل المذكور ، فدخلت في دورة المياه وجلست لأتوضأ فإذا هذا الرجل المذكور وجدته جالسا إلى جنبي الأيمن ، كاد أن يفك سنبور الماء بأسنانه ، ففتحت له سنبور الماء بيدي ، فشكر لي وبدأ يتمضمض ، فإذا معيناً له ورد بعد قليل ، فغسل وجهه وخلل لحيته وغسل رجليه ، ثم توضأ بنفسه وذهب به إلى الحرم النبوى الشريف وأنا أمشي معه وهو ينظر إليَّ وأنا أنظر إليه ، فلما دخلنا الحرم وجلسنا معاً سألته في أثناء الكلام : كيف تجدك في هذه الحالة ؟ وما ظنك بربك ياعمِّي ؟ فتبسم ضاحكاً وقال : حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

ثم قرأ عليَّ قول خالقه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ التوبة : ٥١

وقرأ قوله سبحانه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ

مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾

الحديد : ٢٢ – ٢٣

وقرأ قوله سبحانه : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ الزمر : ٣٦ .

ثم قال بعد ذلك : أنا ما أقول إلا كما قال سيدنا يعقوب ﴿عليه السلام﴾ : ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ يوسف : ٨٦ .

وقال : أنا راض من ربي ، أنا راض من ربي وأقول أمامك : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ، وأدعو الله أن لا يخزني يوم تجد كل نفس ما عملته حاضراً .

وقال لي بعد ذلك : يا بنيَّ ! ألا ترى أن كثيراً من الناس يلقون في النار بسبب أعمال الأيدي والأرجل وغير ذلك من الأعضاء ويختم الله على أفواه الناس حين ينكرون ما ارتكبوه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت ، كما قال تعالى :

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

يس : ٦٥

وقال يابنيَّ ! أنا مأمون من أعمال الأيدي الشنيعة ، ومن المحتمل أن يكون هذا سبباً لغفران نفسي عندالله سبحانه وأن الله سبحانه لا يظلم الناس شيئا .

إي والله ! وجدته كأنه جبل الصبر ، وكان من حفاظ القرآن الكريم ، وكان من المعتمرين الباكستانيين ، راض على خالقه الذي خلقه على هذه الحالة ، ينصح الناس ويدعو الله أن لا يخزيه يوم القيامة .

فعلينا يا أختاه ! أن نستعمل أعضاءنا كلها في رضوان الله

سبحانه لأن الأيدي والأقدام واللسان والعين والفرج والفخذ كل ذلك يسأل عنه يوم القيامة ثم يشهد كل عضو من الإنسان على الإنسان . وصدق الله العظيم : ﴿يَومَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وأَيدِيْهِمْ وأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النور : ٢٤ .

وقال قتادة : ابن آدم ! والله إن عليك لشهوداً غير متهمة من بدنك فراقبهم ، واتق الله في سرك وعلانيتك ، فإنه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوء ، والسر عنده علانية ، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ، ولا قوة إلا بالله ذكره ابن كثير في تفسيره ٣ /٢٧٨ .

أختي العزيزة ! هذا نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه يشكو أمته بين أصحابه ويقول : «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ماحولها ، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن (أى يمنعهن) ويغلبنه (أى على الوقوع) فيقحّمن فيها (أى يدخلن النار) ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها» ، هذه رواية البخاري ولمسلم نحوها وقال في آخرها :

«فذلك مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلمَّ عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني تقحّمون فيها» كما في المشكاة باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

أختي العزيزة ! من قضى حياته في هذه الدنيا لعباً ولهواً وبما تشتهيه النفس وما زال يخالف فيها أمر الله ورسوله ﷺ وترينيه في نعمة وسرور وجنات وعيون ، وتعجبك أموالهم وأولادهم وعيشهم فاسمعى ! ماذا يقوله سبحانه في

مثل هؤلاء : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ ولا أولادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ التوبة : ٥٥ .

وقال النبي ﴿ﷺ﴾ : «إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب ، وهو مقيم على معاصيه ، فإنما ذلك منه استدراج» كما في الصحيح الجامع الصغير ٥٧٥ - ٢٥٣ .

معناه : «الأخذ بالتدريج ، والمراد هنا : تقريب الله العبد إلى العقوبة شيئا فشيئا ، واستدراجه تعالى للعبد أنه كلما حدّد ذنباً ، جدّد له نعمة وأنساه الاستغفار ، فيزداد أشراً وبطراً ، فيندرج في المعاصي بسبب تواتر النعم عليه ، ظاناً أن تواترها تقريب من الله ، وإنما هو خذلان» فيض القدير للمناوي ١ /٣٥٤ .

فلا بد إذاً أن تكون ذنوبنا نصب أعيننا ، وإلا كنا من المستدرجين .

قال الراقم : قد حكى لي شيخ كبير مرة حكاية لزميله الشاعر فقال : كان لي زميل وصديق ، وما رأيته قط في حياته يعمل عملا صالحا أو يصلي الصلاة ، وأحيانا يعترف بنفسه أمامي بهذا الكسل والغفلة والبعد عن الأعمال الصالحة ، فلما حضره الموت أنشد بيتين فقال في البيت الأول وهو يعرق جبينه من شدة الموت ويخاطب أهله في اللغة الأردية وترجمته :

عرق الموت قد طلع على الجبين وناصيتي ، فاحضروا لي المرآة ياأهل بيتي ! كي أنظر إلى صورة الحياة الأخيرة بعيني .

ثم بعد ذلك لما رأى ما رأى أمام عينيه وتذكر حوادث الحياة تأوه وأنشد ماترجمته :

آه ! ويـاأسفـىٰ عـلى حيـاتـي ، والله مـا سجَّلـتُ في صـحيـفـة أعـمـالـي شيـئاً مـن الأعـمـال الصـالحـة في حـيـاتـي هـذه ، فـالآن والله انـتـبـهـت مـن الـنـوم والـغـفـلـة وقـد فـتـحـت عـيـن قـلـبـي إذ تفـارق الـروح الجـسـد» فـآتـاه آت وذاقَ الـمـوت بـعـد إقـراره هـذا .

كأنـه يقول : الآن حـيـنـمـا تـنـفصل الروح مـن الجسـد عـرفـتُ أن هـذه الحـيـاة كانـت لـغـرض خـاص ولأعـمـال خـاصـة ، وقـد كـنـت فـي غـفـلـة مـن هـذا ومـا اسـتـعـدت للآخـرة شـيـئا ، وهـذا كـمـا قـال تـعـالى :

لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ

ق : ٢٢

ومـمـا لا شـك فـيـه أختي العزيـزة ! أن وقـت المـوت شـديـد ، تـتـقـلـب فـيـه الأبـصـار ، وتـفـزع الـقـلـوب ، وتـهـتـز الأجـسـام ، وتـهـدم اللذات [٨] وتـفـنـي الـراحـات حـيـنـمـا يـأخـذ ملك المـوت روح الإنسـان بـعـسـر فـتـغـرق فـي نـزعـهـا وذلـك قـولـه تـعـالى :

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ النـازعـات : ١ .

أختـي الكـريـمـة ! هـل فـكـرت بـأنـك سـتـذهـبـيـن إلـى حـفـرة مـظـلـمـة وضـيِّـقـة ، وتـهـجـريـن هـذه الـغـرف الجـمـيـلـة والـفـيـلات الـواسـعـة الـتـي فـيـهـا جـنـات وعـيـون وزروع ، والأزهـار بـألـوانـهـا وأنـواعـهـا ، جـهـزتـهـا لـلـنـوم الـهـادىء واللعب فـيـهـا مـع زوجـك ، وتـتـركـيـنـهـا يـومـاً مـن الأيـام وتـمـكـثـيـن فـي الـظـلام بـدلا عـن نـور الـقـنـديـل والـفـانـوس الـغـالـي ، وتـدعـيـن رونـق هـذه الـعـمـائـر المـنـقـشـة وتسـكـنين المـديـنـة السـاكـتـة - الـقـبـور - لا تـسـمـعـيـن فـيـهـا إلا هـمـسـا .

والـمـوت يـخـطـف مـنـك فـراشـك المـحـبـوب الـنـاعـم ، والـغـرف المزيـنـة بـالسـجـاجـيـد الـنـاعـمـة الحـديـثـة ، ويـلـقـيـك فـي غـرفـة تـرابـيـة

مظلمة - إلا ما شاء الله - في أربعة أذرع من الأرض ، وكنتِ قبل ذلك متوفر عندك البطانيات الحديثة الناعمة والمرغوبة وكنت ترتدينها على جسدك بالفرحة والسرور ، ولكن اليوم بعد الموت سيكون سنام القبر بطانيتك وترابه فراشك الخشن .

وهكذا يقول ربنا تعالى يا ابنة حواء :

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨﴾ الدخان : ٢٥-٢٨

تفكري لمحة أختي العزيزة ! ماذا تفعلين في ذلك الوقت عندما يأتي منكر ونكير في قبرك ويقعدانك ويسألانك : من ربك ؟ وما دينك ؟ واعلمي أنه في ذلك لا يتحدث هذا اللسان الجلدي بل يتحدث آنذاك لسان الأعمال ، فلو كنت تحبين القرآن فإن الذي سيُحدِّث القرآن ، ولو كنت تحبين الصلاة فتكون هذه الصلاة نوراً لك وبرهانا وحجة ، وعسى أن تحميك هذه الصلاة من عذاب القبر ومسألة منكر ونكير كما في الحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : «إذا أُدخل الميت القبر مُثِّلت (أى صورت وخيلت) له الشمس عند غروبها ، فيجلس يمسح عينيه ويقول دعوني أصلي» كما في المشكاة كتاب الإيمان باب إثبات عذاب القبر .

قال في المرقاة في شرح هذا الحديث : قوله : «دعوني» أى اتركوا كلامي والسؤال عني .

وقوله : «أصلي» أى أريد أن أصلي خوف الفوت قبل الموت ، كأنه يظن أنه بعد في الدنيا ويؤدي ما عليه من الفرض ويشغله من قيامه بعض الأصحاب ، وذلك من رسوخه في أدائه ومداومته عليه في الدنيا . انتهى

وللترمذي وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضرب بعض أصحاب النبي ﴿ﷺ﴾ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي ﴿ﷺ﴾ فأخبره ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «وهي المانعة ، هي المنجية ، تنجيه من عذاب القبر» وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ /٣٩٦ .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «والذي نفسي بيده إن الميت ليسمع خفق نعالهم حين تولون عنه مدبرين ، فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه ، والزكاة عن يمينه ، والصوم عن يساره ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس إلى رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قِبلي مدخل ، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة : ما قِبلي مدخل ، فيؤتي عن يساره فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ، فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات : ماقبلي مدخل ، فيقال له : اجلس ، فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب ، فيقال له : أخبرنا عما نسألك ، فيقول : دعني حتى أصلي ، فيقال له إنك ستفعل ، فأخبرنا عما نسألك ، فيقول : وعمَّ تسألوني ؟ فيقال : أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ، ماذا تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : أمحمد ؟ فيقال له : نعم ، فيقول : أشهد أنه رسول الله ، وأنه جاءنا بالبينات من عندالله فصدقناه ، فيقال له : على ذلك حييتَ ، وعلى ذلك متَّ ، وعليه تبعث إن شاء الله ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ، وينوّر له فيه ، ويفتح له باب إلى الجنة ، فيقال له : انظر إلى ما

أعد الله لك فيها ، فيزداد غبطة وسروراً ، ثم تجعل نسمته في النسم الطيب ، وهي طير خضر ، يعلق بشجر الجنة ، ويعاد الجسد إلى ما بدىء من التراب» وذلك قول الله : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ إبراهيم : ٢٧

ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد بن عمر وذكر جواب الكافر وعذابه . كما في التفسير لابن كثير ٢ /٥٣٥ .

والشاعر ينبه الغافلين ويحضهم على الاستعداد للموت ويقول :

محمد ما أعددت للقبر والبلىٰ وللملكين الواقفين على القبر
وأنت مصرٌ لا تراجع توبة ولا ترعوي عما يذم من الأمر
سيأتيك يوم لا تحاول دفعه فقدّم له زاداً إلى البعث والنشر

ونبهنا على ذلك ربنا تعالى قائلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الحشر : ١٨

أختي الفاضلة ! تفكري قليلا في فزع القبر وأهواله ، هل تنفعك اليوم القصص الماجنة ، والأفلام الهابطة الساقطة ، والمؤلفات الفاحشة والبرامج السفيهة ، وهل تفيدك آنذاك الأغاني المرغوبة والمحبوبة في هذه المدينة التي تعرض عليها النار بالعشي والإبكار - إلا من رحم الله - وهل تدفع عنك هذه النغمات والمجلات والأفلام لدغات الحيات والعقارب في قبرك؟ وهل تنفعك نميمتك وخدعتك التي كنت تضحكين بها على أخواتك ؟ وهل كل هذا يوفر لك السعادة والهناء والسكينة في هذه الحفرة المظلمة المهجورة ؟ كلا والله ! لا ينفعك إلا ما قدمت لنفسك إن خيراً فخير وإن شرا فشر .

وقال الشاعر :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

وقال قائل : يامن تنطقون بالشهادتين وتعملون بحقوقهما ؟ ويامن تقيمون الصلاة وتؤدون أركانها ! كيف ترضون لأنفسكم السباحة في بحر الدنيا من غير قميص النجاة ؟

وكيف ترضون لأنفسكم الغوص في المعاصي من غير استغفار أو توبة ؟ لا أظن أن أحدنا يقر له قرار ، أو يهدأ له بال ، إذا علم أن خلفه :

الموت وسكراته والقبر وآلامه
والبعث وأهواله والحشر ومآله
والميزان ودقته والحساب وشدته
والصراط وعراقيله وعذاب النار

وقد قال سبحانه وتعالى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ٣٠﴾ ق : ٣٠

ولنتخيل لو أننا قبضنا هذه الساعة فكيف سنواجه ربنا الذي بطشه شديد ؟ وبأي عمل سنقابله ؟ وماذا يكون جوابنا لو سئلنا :

﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ٦٢﴾ يس : ٦٠-٦٢

فـ«يا أيها المغرور قم وانتبه قد فاتك المطلوب والركب سار
إن كنت أذنبت فقم واعتذر إلى الكريم يقبل الإعتذار

والهض إلى مولى عظيم الرجا   يغفر بالليل ذنوب النهار

فعلى العاقل أن يجهز نفسه للموت ولا يهمل نفسه ولا وقته ، بل يصبح كل يوم على تقدير الاستعداد للرحلة ، وما من وقت إلا والموت فيه ممكن ، وهذا أمر لا ريب فيه .

والناس مختلفون في كل الأشياء إلا الموت فلا خلاف فيه ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ العنكبوت : ٥٧ .

وشاعر يقول :

اكْدحْ لنفسك قبل الموت في مهل   ولا تكن جاهلا في الحق مرتابا

إن المنيَّة موروذٌ مناهلها   لا بد منها ولو عمَّرت أحقابا

وفي الليالي وفي الأيام تجربة   يَزدادُ فيها أولو الألباب ألبابا

بعد الشباب يصير الصلب منحنيا   والشعر بعد سوادٍ كان قد شابا

يُفني النفوس ولا يُبقي على أحد   ليل سريع وشمس كَرُّها دابا

لمستقر وميقات مقدرة   حتى يعود شهود الناس غيابا

ومن تعاقره الأيام تُبدله   بالجار جاراً وبالأصحاب أصحاباً

خلَّوا بروجاً وأوطاناً مشيَّدة   ومؤنسين وأصهاراً وأنسابا

فيا له سفراً بُعداً ومغتربا   كُسيت منه لطول النأي أثوابا

كم من مهيب عظيم الملك متخذ   دون السرادق حرَّاسا وحُجابا

أضحىٰ ذليلا صغير الشأن منفردا   وما يُرى عنده في القبر بوَّابا

وقيل لإبراهيم بن أدهم : أين العمران ؟ فأخذ يد السائل ومضى معه إلى المقابر ، وأشار إلى المقابر وقال : هنا العمران .

أخواتي وأمهاتي ! عليكن أن تفكرن في الذين رحلوا ، أين نزلوا ؟ وتفكرن أن القوم نوقشوا وسئلوا .

واعلموا أيها الناس أنكم كما تعزلون ، عزلوا ، ولقد ودوا

بعد الفوات لو قبلوا . وقال الشاعر :

سألت الدار تخبرني عن الأحباب ما فعلوا
فقالت لي : أناخ القوم أياماً وقد رحلوا
فقلت : فأين أطلبهم ؟ وأي منازل نزلوا ؟
فقالت : بالقبور وقد لقوا والله ما فعلوا
أناس غرَّهم أمل فبادرهم به الأجل
فنوا وبقي على الأيام ما قالوا وما عملوا
وأثبت في صحائفهم قبيح الفعل والزلل
فلا يستعتبون ولا لهم ملجا ولا حيل
ندامى في قبورهم وما يغنى وقد حصلوا

أخرج الدينوري وابن عساكر عن كميل بن زياد قال : خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلما أشرف على الجبَّان - الصحراء وتسمى بها المقابر - التفت إلى المقبرة فقال :

ياأهل القبور ! يا أهل البلىٰ ! يا أهل الوحشة ! ما الخبر عندكم ؟ فإن الخبر عندنا : قد قُسمت الأموال ، وأيتمت الأولاد ، واستُبدل بالأزواج ، فهذا الخبر عندنا ، فما الخبر عندكم ؟ ثم التفت إليَّ فقال : ياكميل ! لو أذن الله لهم في الجواب لقالوا : إن خير الزاد التقوى ، ثم بكى ، وقال : ياكميل ! القبر صندوق العمل ، وعند الموت يأتيك الخبر . كما في الكنز ٢ /١٤٢ .

أختاه أيتها الأمل ! تفكري بالموت وسكراته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فكفىٰ بالموت مكرِّها للقلوب ، ومسقيا للعيون ومفرقا للجماعات ، وهادما للذات ، وكافيا للأمنيات .

وكيف بك أيتها المرأة ! إذا صاح إسرافيل ، ونفخ في الصور ،

تصوري خروجك مذعورة ، تسعين من تحت الثرى والمدر ،

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ يس : ٥١ - ٥٢

وشخصت الأبصار لتلك الأهوال ، وخشعت الأصوات للرحمن ، فلا تسمع إلا همسا ، فقلق الخائف ، وشاب الصغير ، وسُعِّرت النَّار ، وأحيطت به الأوزار ، ونصب الصراط ، ووضع الميزان ، وأحضر الحساب ، وجيىء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام ، ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها .

وقد قال تعالى :

وَجِاىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

الفجر : ٢٣ - ٣٠

وعندئذ ياأختي ! شهد الكتاب ، وتقطعت الأسباب ، فكم من كبير يقول : وا شيبتاه ! وكم من كهل ينادي بأعلى صوته : وا خيبتاه ، وأيقن بالذنوب كل فاجر وفاجرة ، فأين عُدتك ياغافلة

تفكر ياأخي ! وتفكري أيتها الأخت !

كم درهم ربا قد أكلت

وكم كأس من الخمر قد شربت

وكم فتاة معها قد سهرت حينا

يطلب الأبرار من الله العفو والمغفرة

فما فكرت آنذاك أنها مثل بناتك وابنة أخيك المسلم أو غيره فانتبه أيها الغافل ! على مكافأة الأعمال وقصاصها، فمن ظَلم ظُلم ، ومن ضحك ضحك ، وكما تدين تدان . وصدق الله العظيم:

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

الأنعام : ١٢٩

وقال بعض الشعراء :

وما من يد إلا ويد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلي بظالم

قيل : إنها كانت امرأة صالحة ، وكان زوجها يصوغ الحليّ ، ولها رجل سقاء يدخل منذ ثلاثين سنة لا ينظر إليها ، فدخل يوما وشد على يد الزوجة فلما جاء زوجها قالت له : هل وقع منك اليوم ذنب ؟ قال : امرأة اشترت مني سواراً فقبضت على يدها ، فقالت : قد وقع القصاص في زوجتك كما فعلت في امرأة أخيك المسلم ، فلما كان من الغد جاء السقاء يعتذر ، فقالت له : لا بأس عليك ، إنما الفساد من زوجي . ويؤيد ذلك قول القائل : «عُفوا عن نساء الناس تعف الناس عن نسائكم» . اللهم احفظنا من أعمال السوء وقصاصها في الدنيا والآخرة ، وياربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا آمين يارب العالمين .

وكم صلاة لله قد ضيَّعتَ

وكم صيام للرب قد هجرتَ

وكم أسرعت فيما يؤذي دينك ودأبت

كم خرقت ثوب إيمانك وما رأيت

كم فاتك من خير وما اكترثت

ياكاسب الخطايا بئس ما كسبت

جمعت جملة من حسناتك ثم اغتبت

ياعقرب الأذى كم لدغت كم لسبت

تعلم أن مولاك يراك ، وما تأدبت

تؤثر مايفني على مايبقى وما أصبت

تصبح تائباً ، فإذا أمسيت كذبت

تأنس بالدنيا وغرورها وقد جربت

أيها التاجر العالمي للمعاصي والذنوب !

وياشريك السوق الدولي للآثام والحوب !

قد أخترت حرفة التجارة القذرة ، وبئس ما اخترت لنفسك من التجارة مع الشيطان عدو الإنسان ، وياخيبة ! من كانت تجارته بالذنوب ، وياله حسرة ! لا تنقضي أبد الآباد : ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ العلق : ١٤ . و ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ آل عمران : ٥ . ومع ذلك لا تمنع نفسك عن تجارة الذنوب والمعاصي .

ماذا حدث بك ؟ وأين ذهب إيمانك ؟ وأين دفن حياءك ، أصبحت قاسي القلب ، تعرف أن هذه الدنيا فانية والآخرة باقية ومع ذلك لا ترجع إلى ربك الذي خلقك ، وصدق الله العظيم ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ البقرة : ٧٤ .

قال الشاعر :

عمرك بالحمية أفنيته خوفاً من البارد والحار

كان أولى لك أن تتقى من المعاصي حذر النار

أيها الناس ! ﴿اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ البقرة ٢٨١ .

وإلا فكل ما عمله الإنسان يبيت حسرة عليه عندما يتمنى العودة إلى دار العمل ويقول : ﴿رَبَّنا أَبْصَرْنا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السجدة : ١٢ .

فأنّى يستجاب لهم ذلك اليوم ، بل يقال لهم من عند ربهم : ﴿اخْسَئُوا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنِ﴾ المؤمنون : ١٠٨ .

أى امكثوا فيها (أى في النار) مهانين أذلاء ﴿ولا تكلمون﴾ أى لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي . قاله ابن كثير ٣ /٢٥٩.

وعن عبدالله بن عمرو قال : إن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يرد عليهم إنكم ماكثون ..... ثم يدعون ربهم فيقولون : ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ .

المؤمنون : ١٠٦ - ١٠٧ .

قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم : ﴿اخسَئوا فِيها ولا تُكلِّمُون﴾ ذكره ابن كثير في تفسيره ٣ /٢٥٩ .

وذكر ابن كثير في تفسيره ٢ /٣٧٩ : قال الحافظ أبو بكر بن عبدالله ابن محمد بن أبي الدنيا .... رفعه قال : إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زماناً ، ثم بكوا القيح زماناً ، قال : فتقول لهم الخزنة : يامعشر الأشقياء ! تركتم البكاء في الدار المرحوم فيها أهلها في الدنيا ، هل تجدون اليوم من تستغيثون به ؟ قال : فيرفعون أصواتهم ، ياأهل الجنة ! يامعشر الآباء والأمهات والأولاد ! خرجنا من القبور عطاشا ، وكنا طول الموقف عطاشا ، ونحن اليوم عطاش ، فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فيدعون أربعين سنة لا يجيبهم ، ثم يجيبهم ﴿إنكم

مـاكـثـون﴾ الزخـرف : ٧٧ ، فـيـيـأسـون مـن كل خـيـر» انتهى .

يا ويـح قـلـبي مـا لـه لا يـلـيـن   قـد أتـعـب الـقـراء والـواعـظـيـن
يـانفـس ! كـم تـبـيـتـين مـن مـرة   وكـم تـقـولـيـن ولا تـفـعـلـين
وكـم تـنـاديـن ولا تـسـمـعـي   وكـم تـقـالـيـن فلا تـرجـعـين
حـتى مـتى يـانفـس ! حـتى مـتى   يـراك مـولاك مـع الـغـافـلـين
فـاسـتـغـفـري الله لـمـا قـد مـضـى   ثـم اسـتـحـيي مـن خـالـق الـعـالـمـين

يـانفـسي ! كأن الـشـيـطـان قـد عـقـد عـلـيـك ألـف ألـف عـقـدة فـلـم تـعـودي ولـم تـفـكـري إلا في شـهـوتـك ، وكأنـك لـم تـخـلـقـي إلا لـذلك وتـحـقـق فـيـك قـول الـشـاعـر :

أتـفـرح بـالـذنـوب وبـالـمـعـاصي   وتـنـسـى يـوم يـؤخـذ بـالـنـواصي
وتـأتي الـذنـب عـمـداً لا تـبـالي   ورب الـعـالـمـين عـلـيـك حـاصي

فـيا نفـسي ! تدبري أمـرك قـبل أن يـنـقـضي أجلـك ، لـقـد ضـللت طـريـق الهـدى ، فـقـفـي هـنيهة واسـألي ، يـاغـمـرة مـن الـشـقـاء ! مـا أراهـا تـنـجـلي ، واتـبـعـت الـهـوى ، والـهـوى عـليَّ ولـيس لي ، أريـد حـيـاة نفـسي ، ونفـسي تـريـد مـقـتـلي . كما في المدهش لابن الجوزي ص ١٥٠ .

«يـانفـسي ! إنـك إذا أصـبـحـت ، تطلبين بـالـمـعـاش الـشـهـوات ، وإذا أمـسـيـت انـقـلـبـت إلى فـراش الـغـافـلات ، أين أنـت مـن أقـوام نـصـبـوا الآخـرة نـصـب أعـيـنـهـم ؟» . المـدهـش لابن الجوزي ص ١٥٠ .

وذكـر الـذهـبي في الـكـبـائـر ص ١٧١ : (مـوعـظـة) : عـبادالله تفـكـروا في سـلـفـكـم قـبـل تلـفـكـم ، وانـظـروا في أمـوركـم قـبـل حـلـول قـبـوركـم ، فـتأهـبـوا للـرحـيـل قـبـل فـوت تحـويـلـكـم ، أين الأقـران والأخـوان أيـن مـن شـيـد الايوان ؟ رحـلـوا والله عـن الأوطـان ، ومـزقـت في اللحـود تلـك الأكفـان ، هـتف نذيرهـم بـأهـل العـرفـان ﴿كُلُّ مَـن عَلـيـهـا فَـان﴾

تقلبت بهم الأحوال ، ولعب بهم في أيدي الليالي ، وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال ، عانقوا التراب ، وفارقوا الأموال ، فلو أذن لأحدهم في المقال لقال :

من رآنا فليحدث نفسه إنه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليهم قدمت وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهراً بعيش ناعم أبيض دهرهم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجال

اسمعي ياجوهرة هذا المجتمع ! جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها تشكو إليها قسوة قلبها ، فعالجتها بذكر الموت والآخرة ، فذهبت عنها قسوة قلبها فشكرت لها على ذلك .

وكيف لا ؟ وقد قال ﷺ : «اكثروا ذكر هاذم اللذات الموت» رواه الترمذي والنسائي كما في المشكاة باب مايقال عند من حضره الموت .

فهل من نسائنا اليوم من تشتكي قسوة قلبها وتعالجه ؟ لا والله ! إلا من رحم الله .

ويا شديد الأسف ! أخواتنا اليوم لا يقتربن إلى ذكر الموت وأحوال الآخرة ، وليس عندهن فرصة إلا لذكر الدنيا ، يضيعن الساعات كلها في الحديث عن الملابس الحديثة وموديلاتها ، والمجوهرات الحديثة وغير ذلك من المرغوبات ، ويجدن الوقت لافشاء النميمة في مجالسهن ، ويضيعن الساعات في فضول الكلام على التليفونات . ولا يجدن فرصة لتجديد الإيمان بذكر أحوال الآخرة .

وهؤلاء بنات المسلمين تشبهن في النمط والطراز والملابس

بنساء اليهود والنصارى . وقد قال الله تعالى :

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ المائدة : ٨٢

ولو يسرف في هذا الطراز واللباس ٢٢ متراً من القماش بدلا من خمسة أمتار ، وعلى ما أظن تكفّن المرأة بهذا القدر - أى ٢٢ متر - من القماش ، لماذا هذا الاسراف والتبذير أيتها النساء ؟

أختي الفاضلة : لو تغطين بهذا القماش - الزائد على الحاجة - جسم الفقيرة البائسة لعل الله عزوجل يكسوك بدله حلة من حلل الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما ورد به الخبر .

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عُرى (أى على حالة عرى أو لأجل عرى) كساه الله من خضر الجنة (أى من ثيابها الخضر) ، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأٍ سقاه الله من الرحيق المختوم» رواه أبوداود والترمذي كما في المشكاة باب فضل الصدقة .

والوقت الذي ضيعته في تفصيل هذا الموديل وتجهيزه لو انفقته في الاستغفار والعبادة ، كان من المحتمل أن يكون هذا الوقت سببا لغفرانك ، لأن لله ساعة لا يرد فيها سائلا (ياليت قومي يعلمون) .

كما قال سيدنا لقمان الحكيم لابنه : «يابنيَّ ! أكثر من قول «رب اغفرلي» فإن لله ساعة لا يرد فيها سائلا» الدر المنثور ٥ /١٦٢

ولو نسأل أختنا اليوم عن أحدث الموديلات لفصل الصيف

والشتاء لأخبرتنا على الفور ولا يفوتها شيء من أزياء الصيف والشتاء ، ولكن لو سألت إحداهن عن شيء من كتاب الله ، أو من مسائل الصلاة وأركانها وسننها ، وعن الطريقة المسنونة والواجبة للغسل ، وعن ماذا قدمت لنفسك بين يدي الله ؟ لما أجابت ، وما أحسن قول الشاعر باللغة الأردية ما ترجمته :

لو لم ننس القرآن ودرسه ما أصابتنا هذه الذلة التي نعاني منها، تعلمتم وتعلقتم بكتب الفلسفة والانجليزية والمجلات الفاحشة أيها الناس ! ياليت أنكم تعلقتم بالقرآن وكتب الحديث والعمل بها ، إذاً لحُفظنا من الذل والهوان .

وا أسفاه ! ياجوهرة الكون المكنونة ! قد غيَّرك أعداء الدين والظالمون لأنفسهم من كيفية إلى كيفية ، ومن حياة طيبة إلى حياة خبيثة ، ومن معاشرة النبوية الطاهرة إلى معاشرة الشيطانية السفيهة .

وياأسفى على اختيارك هذه المعاشرة الدنيئة : معاشرة هؤلاء الأنعام بل هم أضل الذين يبيتون مع كلابهم على فرشهم وعلى الطرب واللهو ودندنتهم - نعوذ بالله من ذلك - ونسأل الله أن يرزقنا أن نبيت لربنا سجداً وقياماً ، وعلى سنة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

وقال ابن القيم رحمه الله ونعم ما قال :

بتنا على سنة المصطفى وباتوا على دندنا دندنا

ويا للأسف ! على من استجابت لهذه المعاشرة ، تلبية الأعمى الذي يلجمه الشيطان لجام الحمار فيدوِّره حيث يشاء من أودية الذنوب والمعاصي .

أختي الفاضلة ! فكري في أية غفلة قيدت نفسك ، كانت لك منزلة سنية ومكانة رفيعة في المعاشرة ، وكان جبريل عليه السلام يبلغ أمك خديجة السلام من الله ، وكان ينزل القرآن من فوق سبع سموات لبيان عفة وطهارة النساء وقد شهد الله بذلك قائلا : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ آل عمران : ٤٢ .

وقال تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ التحريم : ١٢

وكما نزلت العشر الآيات في سورة النور في شأن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب والبهت والفرية التي غار الله لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ فقال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ النور : ١١

وقوله سبحانه في براءتها رضي الله عنها :

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾

النور : ١٦ - ١٧

وشهدت لحيائك سورة القصص أيتها المرأة قال تعالى :

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾

القصص : ٢٥

وأنزل الله تعالى لك أحكاماً مستقلة في القرآن والسنة ، وزادت رتبتك على الزوج ثلاثة أضعاف كما في الحديث المتفق عليه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «قال رجل : يارسول الله ! من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك» متفق عليه .

وروى الإمام أحمد عن المقدام بن معديكرب عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : «إن الله يوصيكم بأبائكم ، إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب» وأخرجه ابن ماجه كما في التفسير لابن كثير ٣ /٢٦

وها أنت أيتها الأم ! إذا سخطت على أحد من أبنائك وكنت غير راضية عنه يصير لسانه أبكم عن التكلم بالشهادتين مع التلقين من جهة الأتقياء والأصفياء .

كما ورد في حديث الطبراني عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : «كنا عند النبي ﴿ﷺ﴾ فأتاه آت فقال : شاب يجود بنفسه ، قيل له قل : لا إله إلا الله ، فلم يستطع ، فقال : أكان يصلي ؟ فقال : نعم ، فنهض رسول الله ﴿ﷺ﴾ ونهضنا معه ، فدخل على الشاب فقال له : قل : «لا إله إلا الله» فقال : لا استطيع ، قال : لم ؟ قيل : كان يعق والدته» .

وفي رواية عند ابن حجر في «الزواجر» : كان يؤثر زوجته ويعصي - أى أمه - فقال النبي ﴿ﷺ﴾ : أحيّة والدته ؟ قالوا : نعم ، فقال لها : أرأيت لو أحجب ناراً ضخمة فقيل له إن شفعت له خلينا عنه وإلا أحرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له ؟ قالت : يارسول الله ! إذا أشفع ، قال : فأشهدي الله وأشهدني أنك قد رضيت عنه ، قالت : اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني ، فقال له رسول الله ﴿ﷺ﴾ : ياغلام قل : «لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن

محمداً عبده ورسوله» فقالها ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : الحمد لله الذي أنقذه من النار» .

قال ابن حجر في الزواجر ورويت هذه القصة بأبسط من هذا وفيه : «فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة (وهو اسم المبتلى) بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته مادامت عليه ساخطة» .

وفيه أيضا : فقال - ﴿ﷺ﴾ - : «ياهؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة ، وإنَّ رضاها أطلق لسانه» اهـ من الزواجر لابن حجر رحمه الله .

وذكر الحافظ الذهبي هذه القصة في كتابه الكبائر ص ٤٥ ، وقال في الهامش رقم (١) : في الترغيب والترهيب : روى عن عبدالله بن أبي أوفى قال : كنا عند النبي ﴿ﷺ﴾ فأتاه آت فقال : شاب يجود بنفسه - فذكر قصة نحو هذه القصة التي هنا ، ثم قال : رواه الطبراني وأحمد مختصرا ، وذكرها ابن الجوزي في الموضوعات بدون تسمية الشاب ، ثم قال : لا يصح - فائد - أي ابن عبدالرحمن العطار - متروك ، قال العقيلي : لا يتابع عليه - وداود يعنى ابن إبراهيم قاضي قزوين - كذاب .

ونازعه السيوطي بأن داود لم ينفرد به ، ثم ساقه إلى الخرائطي في مساوي الأخلاق ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والطبراني ، كلها من طريق فائد بن عبدالرحمن العطار عن عبدالله بن أبي أوفى نحوه . اهـ من الكبائر للذهبي .

ما أعظم شأن المرأة لما أنزل الله عزوجل حكم تكريم الوالد والإحسان به ، أوصى الله باحترام الوالدة والإحسان بها سواء بسواء كما قال تعالى : ﴿ووَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيهِ إحْسَاناً﴾ الاحقاف ١٥.

ويقول سبحانه آمراً بعبادته وحده لا شريك له ، وقرن عبادته ببر الوالدين فقال : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا

﴿يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾ اسراء : ٢٣ - ٢٤

روى البزار في مسنده عن سليمان بن بريدة عن أبيه : «أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبي ﴿ﷺ﴾ : هل أديت حقها ؟ قال : لا ولا بزفرة واحدة» التفسير لابن كثير ٣ /٢٦ .

وجعل النبي ﴿ﷺ﴾ الجنة عند رجليك كما في رواية للإمام أحمد عن معاوية بن جاهمة السلمي «أن جاهمة جاء إلى النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : يارسول الله ! أردت الغزو وجئتك أستشيرك فقال : «فهل لك من أم ؟» قال : نعم ، قال : «فالزمها فإن الجنة عند رجليها» ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى كمثل هذا القول» ورواه النسائي وابن ماجه كما في التفسير لابن كثير ٣ /٢٦ .

وأنت أيتها المرأة ! انجبت سيد المرسلين وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهكذا كل من الأبرار والأتقياء والأصفياء والأولياء ماهم إلا أبناءك وثمرة فؤادك .

فلو أصبح الرجل سيداً في الجنة ، أصبحت المرأة سيدة نساء أهل الجنة .

ألا ! وأنت من ﴿المزيد﴾ في قوله تعالى : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ ق : ٣٥ .

كما رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «إن الرجل في الجنة ليتكىء في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه ،

فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء مابين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه ، فيرد السلام ، فيسألها من أنت ؟ فتقول : أنا من ﴿المزيد﴾ ، وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان ، إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب» التفسير لابن كثير ٢٣٠ /٤ .

وروى ابن أبي حاتم كما في التفسير لابن كثير ٤٦٦ /٤ : عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : «إن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله ، وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم ! ياأهل الجنة ! ماذا تريدون أن أمطركم ؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب» اهـ . فسبحان من زين الجنة بالكواعب الأتراب .

وفي أول الأمر لما أدخل الله سبحانه أبانا آدم عليه الصلاة والسلام الجنة ، أدخلك الله الجنة أيتها المرأة معه سواء بسواء ، وذلك قوله تعالى : وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا

الاعراف : ١٩

وذكر العيني في عمدة القاري ٨ /٢١٢ الجزء ١٥ : أن الله تعالى لما أسكن آدم الجنة ، أقام مدة فاستوحش ، فشكا إلى الله الوحدة ، فنام فرأى في منامه امرأة حسناء ، ثم انتبه فوجدها جالسة عنده ، فقال : من أنت ؟ فقالت : حواء ، خلقني الله لتسكن إليّ ، وأسكن إليك . اهـ من العيني .

وعندما يدخل الناس الجنة مرة ثانية يكون أول من يطرق باب الجنة ويدخلها من الرجال هو رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، وهكذا أول من يدخل الجنة من النساء هي فلذة كبده صلى الله عليه وسلم

سيدة نساء أهل الجنة «فاطمة بنت رسول الله ﷺ» .

كما روى ابن سعد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : «إن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة» .

قال المؤلف : ويؤخذ ذلك أيضا من الحديث الصحيح الذي رواه البخاري : قال النبي ﷺ : «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة» .

كما أن النبي ﷺ أول من يطرق باب الجنة ويدخلها لأنه سيد ولد آدم ، هكذا أول من يدخل الجنة من النساء هي سيدة نساء أهل الجنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ اهـ .

وعند الحاكم من حديث حذيفة بسند جيد : «أتى النبي ﷺ ملك وقال : إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة» فتح الباري ٧ /١٣٢

ويا أختاه ! وللترغيب فيك وفي الجنة قد ذُكرتِ في القرآن الكريم بصفات عديدة ومرات كثيرة .

وكيف لا ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِيْنٍ﴾ الطور : ٢٠ ، أى وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حسانا من الحور العين كما في التفسير لابن كثير .

وقال سبحانه : ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً﴾ الواقعة : ٣٥ - ٣٧ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : أى أعدناهن في النشأة الأخرى بعدما كن عجائز رمصا ، صرن أبكاراً عربا أى بعد الثيوبة عدن أبكاراً عربا متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة اهـ.

وروى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال : صليت ليلة ثم جلست أدعو ، وكان البرد شديداً ، فجعلت أدعو بيد واحدة فأخذتني عيناي ، فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلها ، وهي

تقول : ياأبا سليمان ! أتدعو بيد واحدة ، وأنا أغذي لك في النعيم منذ خمس مائة سنة ، التفسير لابن كثير ٤ /٢٩٤ .

وذكر الله سبحانه من صفاتكن - أى صفات نساء الجنة - قائلا : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ الرحمن : ٥٦ .

وقال سبحانه : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الرحمن : ٥٨ .

وعددكن أيتها النساء ! أكثر من عدد الرجال في الجنة كما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الإمام أحمد عن محمد ابن سيرين قال : إما تفاخروا وإما تذاكروا ، الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أو لم يقل أبو القاسم ﴿ﷺ﴾ : «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على ضوء كوكب دري في السماء ، لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب» راجع التفسير لابن كثير ٤ /٢٧٩ .

فإذا كان لكل امرىء في الجنة زوجتان اثنتان فعلم من ذلك أن عدد النساء في الجنة أكثر من عدد الرجال ، فسبحان من زين الجنة بالنساء .

وقد قال النبي ﴿ﷺ﴾ ..... «ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض ، لملأت مابينهما ريحاً ، ولطاب مابينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» رواه البخاري كما في التفسير لابن كثير ٤ /٢٧٩ .

أهذه صفة نصيف المرأة في الجنة ، فما بالك في صاحبة هذا النصيف وحسنها .

أختي الفاضلة : فإذا ذكر الله سبحانه الرجال في كتابه بلفظ المسلمين ذكرك بلفظ المسلمات وهكذا المؤمنين والمؤمنات

والقانتين والقانتات إلى آخر الآية ، وكما أعد الله تعالى للرجال مغفرة وأجرا عظيما هكذا أعد الله تعالى للنساء وتصديق ذلك في قوله تعالى :

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا الأحزاب : ٣٥

فالواجب عليكن أيتها النساء ! أن تحتفظن بالصفات التي ذكر الله تعالى في شأنكن وتطبقن ذلك على أنفسكن .

تفكري أيتها الأخت ! كيف يهتم الرحمن ويذكر النساء في القرآن في مواضع كثيرة كي لا يتحسرن على عدم ذكرهن فيه .

وهذه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﴿ﷺ﴾ تقول : قلت للنبي ﴿ﷺ﴾ : ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداءه على المنبر ، قالت : وأنا أسرح شعري ، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي حجرة بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر : «ياأيها الناس ! إن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّ المُسلمينَ والمُسلماتِ والمُؤمنينَ والمؤمناتِ﴾» إلى آخر الآية .

رواه الإمام أحمد والنسائي وابن جرير كما في التفسير لابن كثير ٣ /٤٨٨ .

فكري ! ما يكون شأن فرحة السيدة أم سلمة رضي الله عنها حينما أنزل القرآن على أمنيتها ، وهذه الفرحة لا يفهمها غيرها وصدق من قال : «من لم يذق لم يدر» .

وهذا أبي بن كعب رضي الله عنه لما قال له النبي ﷺ : «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُن الَّذينَ كَفروا مِن أهلِ الكتابِ﴾ قال : وسماني ؟ قال : نعم ، فبكى» رواه البخاري في مناقب أبيّ بن كعب رضي الله عنه .

وفي رواية للطبراني عن أبي بن كعب قال : «نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى» ذكره الحافظ في الفتح ٧ /١٥٩ .

وفي رواية لأحمد : فقال النبي ﷺ لأبي : إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة ، قال أبي : وقد ذكرت ثمَّ يارسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فبكى أبي» رضي الله عنه كما في التفسير لابن كثير ٤ /٥٣٧ .

قال القرطبي تعجب أبيّ من ذلك لأن تسمية الله له ونصه عليه ليقرأ عليه النبي ﷺ تشريف عظيم ، فلذلك بكى إما فرحا وإما سروراً . ذكره الحافظ في الفتح ١٥٩ /٧ .

قال الراقم : عسى أن يكون سبب بكاء سيدنا أبي رضي الله عنه بأنه فكر في نفسه : ياربي ! ماكنتُ متأهلا لهذا الشرف والتعظيم بأن تسميني باسمي ونسبي عندك في الملأ الأعلى وتأمر نبيك أن يقرأ عليَّ من كتابك شيئا ، فثارت المحبة بهذا التفكر فبدأ يتضرع ويبكي استجابةً لوجدان الفرح والسرور . انتهى قول الراقم .

أختي الفاضلة : فإذا سمى الله سبحانه أحداً من الرجال من فوق سبع سماوات قائلا : ﴿يا زكريا إنَّا نبشِّرُكَ بغلامٍ اسمه يحيىٰ لمْ نَجْعلْ لَه مِن قَبلُ سميّاً﴾ مريم : ٧ .

كذلك سمى الله سبحانه من فوق سبع سماوات السيدة مريم من النساء قائلا : ﴿وإنّي سمَّيتُها مريَم﴾ آل عمران : ٣٦

أختي المسلمة ! يكفي لشرفك بأن الله سبحانه ذكرك في القرآن الكريم بلسانه المبارك قائلا : إن المُسلمينَ والمُسلماتِ والمُؤمِنينَ والمُؤمناتِ﴾ إلى آخر الآية المذكورة .

لذا نرجو منك أن تعودي إلى شرفك الأعلى ومقامك الأسنى مقام المؤمنات القانتات التائبات الصابرات الخاشعات والحافظات لفروجهن والذاكرات الله كثيرا ، وابتعدى من حب الدنيا وشهواتها والخوض فيها واستعدي للآخرة التي تسكنين فيها إلى الأبد ، ثم يذبح الموت ولا يموت أحد على الأبد بعد ذلك ويدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

وتصديق ذلك في الحديث المتفق عليه كما في المشكاة باب الحوض والشفاعة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إذا صار أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى منادٍ: ياأهل الجنة ! لا موت ، وياأهل النار ! لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم» .

لذا أيتها الأخت : عليك أن تشغلي نفسك ووقتك في طلب مرضاة الله أكثر من شغلك بأمور الدنيا الفانية أو مثلها أو نصفها أو ثلثها أو انقصي منها أو زيدي عليه وفقك الله وإياي آمين يارب العالمين .

فانظري إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان دائما مشغولا بطاعة الله وكان يذكر الله على

كل أحيانه ، مع ذلك يأمره سبحانه : ﴿فَإذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وإلى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ الشرح : ٧ – ٨

فما بالك أيتها المرأة ! في نفسك التي امتلئت من الذنوب والخطايا ؟ أمَا تحتاج هذه النفس إلى الرغبة في الله بعد فراغها من أمور الدنيا لترضى ربها ؟ وأليست منكن إمرأة رشيدة تنفق أوقاتها في مرضاة الله ؟

واعلمي ياأختي ! أن في البستان أزهاراً متنوعة ، وكل زهر فيه يختلف عن أخيه في الرائحة واللون والشكل ، ولكن العندليب لو تحب حباً سماقاً وتفدي بنفسها على الورد وأوراقه فقط ، فليس معناه أن الأزهار الأخرى في البستان ليست بأزهار قط .

أختي العزيزة ! وهكذا إن أفديت بنفسك وقصرتها على أزهار الدنيا الدنيئة وزخرفها فقط ، وما شممت رائحة أزهار الآخرة المتفتحة ، فماذا يكون جوابك أمام المولى جل وعلا يوم تجد كل نفس ما عملته حاضرا .

استمعي إلى قول الشاعر ماترجمته :

يقول الشاعر : لا تمدن عينيك إلى هذه الدنيا الدنيئة فإنها فانية وزائلة لا محالة ، وعليك بطاعة الله على كل حال وفي كل لحظة ونفَس ، فإن طاعة الله هي حياة القلوب وبهاؤها ، ومثل القلوب الخالية من ذكر الله وطاعته كالقصور الخاوية على عروشها .

فالبيت الذي ليس فيه صاحبه لو نزل فيه ضيف لا يتمتع فيه بالضيافة المطلوبة ، ولا لذة له فيه بقيامه غير أنه يضيق عليه البيت بما رحب ، فإذا ورد صاحب البيت فيه برقت أسارير وجه الضيف والمضيف معا ، فيفرحان بالكلام فيما

بينهما ويضحكان ويجدان اللذة والحلاوة في نفسيهما عندئذ .

فكذلك القلب الذي امتلأ من الدنيا وزخرفها وليس فيه صاحبه - هو ربنا الرحمن - أى لا حب الله فيه والعمل للآخرة ، فلا بهاء فيه ولا حياة ولا لذة فيه ولا حلاوة ، وإذا دخل فيه صاحبه ونزل أى حبه جل وعلا ، برقت أسارير وجه المطيع وتنوّر وجهه وتلألأ ، وتطلع منه أنوار ساطعات تسر الناظرين ، وعسى أن يحشر هذا المطيع والذاكر مع هؤلاء الذين قال الله تعالى في شأنهم : ﴿سِيمَاهُم فِي وُجوهِهِمْ مِن أَثَرِ السُّجود﴾ الآية من سورة الفتح : ٢٩ .

ومع الذين قال تعالى في شأنهم : ﴿يَسعَى نُورهُم بَينَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيمَانِهِمْ بُشرَاكُمُ اليومَ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تحتِها الأنهار﴾ الحديد : ١٢

لذا يحرض الشاعر ويقول : انزلوا واحلوا مولاكم جل وعلا في قلوبكم ، واجتنبوا الدنيا وزخرفها والخوض فيها لأنها ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه .

اعلمي ياأختاه ! أن الدنيا لا تذم لذاتها ، وكيف يذم ما منَّ الله به على عباده ، وما هو ضرورة في بقاء الآدمي ، وسبب في إعانته في تحصيل العلوم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه ، هذا هو معنى قوله ﴿ﷺ﴾ : «ألا ! إنَّ الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالم أو متعلّم» . رواه الترمذي وابن ماجه كما في المشكاة كتاب الرقاق .

وإنما المذموم أخذ الشيء من غير حله ، أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة ، فالعاقل يجعلها ذخيرة للآخرة

فينفقها في سبيل الله في المشاريع الدينية من طباعة مصاحف وكتب إسلامية وعمارة مساجد وبذل للفقراء الذين لا موارد لهم .

قال بعضهم : الدنيا وقتُك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن مامضى عنك فقد فاتك إدراكه ، وما لم يأت فلا علم لك به ، والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته ، وأحداثه تتوالَى على الإنسان بالتغيير والنقصان ، والدهر موكّل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول ، والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور .

أما عمرك فكلَّ يوم يُنتهب ، أما المُعظَم منه قد تولى وذهب ، إلى أي حين أنت في جمع الورق والذهب ، تبخل بالمال وأوقات العمر تَهبْ ، يامن إذا خلا تفكر وحسَب ، فأما لنزول الموت فما قدَّر وحسبْ .

تأهَّب فإنك مقبل على كُربةٍ لا كالكُرب ، تطلب النجاة من غير باب الطلب ، وتقف في الصلاة وإن صلاتك لعجب ، الجسم حاضر والقلب في شعب ، الجسد بالعراق والقلب في حلَب ، الفهم أعجمي واللفظ لفظ العرب ، وهذا يدل على أن حبَّ الدنيا والهوى على قلبك قد غلب .

فكأنكم بالدنيا قد تولت ، وبالنفوس الكريمة قد هانتْ وذلَّت ، وبكُؤوس الأسى والتأسف قد أنهلت وعلَّت.

متى يقال لهذه الغمرة التي جلَّت قد تجلَّت فوا عجبا ! لنفس ما تنتبه وقد زلَّت .

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب، قيل : وما تفرقة القلب ؟ قال : أن يوضع لي في كل واد مال .

وقال سفيان الثوري : بلغني أنه يأتي على الناس زمان تمتلىء قلوبهم في ذلك الزمان من حبِّ الدنيا فلا تدخله الخشية .

وعن مجاهد قال : مررت مع ابن عمر رضي الله عنهما على خربة فقال : يامجاهد ! ناد : ياخربة مافعل أهلكِ ؟ أين أهلك ؟ قال فناديتُ ! فقال ابن عمر : ذهبوا وبقيت أعمالهم .

وعن الحسن قال : مرَّ عمر رضي الله عنه على مزبلة ، فاحتبس عندها فكأنَّ أصحابه تأذوا بها فقال : هذه دنياكم التي تحرصون عليها .

واعلم أن أهل القبور إنما يفرحون بما يقدِّمون ، ويندمون على ما يخلفون ، وأهل الدنيا يقتتلون ويتنافسون فيما عليه أهل القبور يندمون .

وقال مالك بن دينار : إن الله جعل الدنيا دار مفر ، والآخرة دار مقر ، فخذوا لمقركم من مفركم ، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرجوا منها بأبدانكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ، ففي الدنيا حَييتم ولغيرها خُلقتم ، إنما مثل الدنيا كالسُم أكله من لا يعرفه واجتنبه من عرفه .

ومثل الدنيا مثل الحية مسُّها ليِّن وفي جوفها السمُّ القاتل ، يحذرها ذوو العقول ، ويهوَى إليها الصبيان بأيديهم .

وعن جابر الجعفي قال قال لي محمد بن علي بن الحسين : ياجابر ! إني لمحزون ، وإني لمشتغل القلب ، قلت : وما حزنك ؟ وما شغلك ؟

قال : ياجابر ! إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغله عما سواه .

ياجابر ! ما الدنيا ماعسى أن تكون هل هو إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو إمرأة أصبتها .

ياجابر ! إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم .

ولم يُصمّهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة ، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ، ففازوا بثواب الأبرار .

إن أهل التقوى أيسرُ أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم لك معونة إن نسيتَ ذكّروك ، وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق ، وقوامين بأمر الله فأنزِل الدنيا كمنزل نزلتَ به وارتحلت منه .

أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته .

وقال بعضهم : فكّر في ذنبك ، وتب إلى ربّك ينبُت الورع في قلبك ، واقطع الطمع إلا من ربك ، ذمَّ مولانا الدنيا فمدحناها ، وأبغضها فأحببناها ، وزهَّدنا فيها فآثرناها ، ورغبنا في طلبها ، دعتكم إلى هذه الغرارة دواعيها فأجبتم مسرعين مناديها ، خدعتكم بغرورها تتمرغون في زهراتها وزخارفها ، قال الله تعالى : ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةِ الدُّنيا﴾ فاطر : ٥

هذه هي دنيانا أيتها الأخوات ! تزودي للآخرة في أول فرصة لأن وقت الموت لا يتقدم ولا يتأخر ، وعزرائيل عليه السلام لن يعبأ بأحد ، ولا يقبل رشوة ، ولا شفاعة ، ولا يؤخر وقت الموت لأحد بسبب البكاء والنياحة ، ولا يمهل عريسا ولا عروسا ، لا شابا ولا شابة ، لا ابنا ولا ابنة ، لا أخا ولا أختا ، لا أبا ولا أما ، من كانوا

وحيث كانوا . فلذلك ينبه الشاعر ويقول :

تزود من التقوى فإنك لا تدري   إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا   وقد نسجت أكفانه وهو لايدري
وكم من عروس زينوها لزوجها   وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

لاحظوا خبر الجريدة لتصديق هذا الشيء في الصحيفة الآتية .

وهذه ترجمة نبأ الجريدة

توفي خمسة أفراد مع العروسة – وكانت متزينة لزوجها – العريس وزميله مجروح حيث انقلبت السيارة في الحادث

قد حدث الاصطدام المهيب بين السيارة والاتوبيس حيث توفي خمسة أفراد مع العروس ، وأصيب العريس وزميله بجروح شديدة ، والقتلى غير العروس يقربون لأبي العريس عبدالرزاق – رئيس المجلس البلدي – وزوجته وابنته والسيدة القادمة مع العروس .

وقعت هذه الحادثة الأليمة الساعة ٢ ظهرا على شارع ميانوالي .

وفقا لتفاصيل هذا الحادث أن السيد / عبدالرزاق كان قادما بعد زواج ابنه إلى بيته فوقع الاصطدام بين السيارة والأتوبيس القادمة من كراتشي إلى إسلام آباد والتي كانت تسير بسرعة جنونية وانقلبت السيارة بعد الاصطدام ووقعت بعيدا عن الشارع مع راكبيها ، وتوفي خمسة أفراد مع العروس المتزينة الحديثة ، وادخل العريس وزميله في المستشفى في حالة شديدة الخطر . اهـ ترجمة الخبر الجريدة .

صورة خبر الجريدة

بس کی ٹکر سے کار میں سوار دلہن سمیت پانچ افراد جاں بحق

دولہا اور اسکا دوست شدید زخمی بس کی ٹکر سے کار قلا بازیاں کھاتے ہوئے دور جا گری

مظفر آباد (نامہ نگار) باراتیوں کی کار اور مسافر بس کے درمیان ہولناک تصادم کے نتیجے میں دلہن سمیت پانچ افراد جاں بحق اور دولہا اور اس کا دوست شدید زخمی ہو گئے۔ انہیں سرور شہید ہسپتال میں طبی امداد دی جا رہی ہے۔ ہلاک ہونے والوں میں دلہن کے علاوہ دولہا کا باپ عبدالرزاق چیئرمین یونین کونسل چک نمبر 518 ٹی ڈی اے ان کی اہلیہ ایک بیٹی اور دلہن کے ساتھ آنے والی ایک خاتون شامل ہیں۔ یہ افسوسناک حادثہ سہ پہر تین بجے میانوالی روڈ پر اڈہ محمد والا کے قریب پیش آیا۔ تفصیلات کے مطابق عبدالرزاق اپنے بیٹے کی شادی کر کے بارات لے کر واپس گھر چک نمبر 518 آ رہا تھا کہ اڈہ محمد والا کے نزدیک کراچی سے پنڈی جانے والی ایک مسافر بس بے قابو ہو کر کار سے ٹکرا گئی جس کے نتیجے میں کار قلابازئیں کھاتی ہوئی دور جا گری اور نئی نویلی دلہن اور دیگر چار افراد جاں بحق ہو گئے۔ دولہا اور اسکے دوست کو شدید زخمی حالت میں ہسپتال داخل کر دیا گیا ہے پولیس نے مقدمہ درج کر لیا ہے جبکہ بس کا ڈرائیور فرار ہونے میں کامیاب ہو گیا ہے پولیس نے زیر دفعہ 320 قصاص و دیت مقدمہ درج کر کے بس قبضہ میں لے لی ہے۔ حادثہ کی اطلاع ملتے ہی ڈپٹی کمشنر مسٹر شاہد اللہ بیگ اور ایس پی چودھری گل اصغر فوری طور پر جائے حادثہ پر پہنچ گئے۔ آخری اطلاعات کے مطابق لاشیں پوسٹ مارٹم کے بعد ورثاء کے حوالے کر دی گئی ہیں۔

نعم أختي العزيزة ! هذه هي الحياة التي نفتخر بها ، ونرسم لها الخطط الطويلة ، ألا وهي حباب الماء الذي يغيب بتيار الهواء الخفيف . وصدق الله العظيم :

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يونس : ٢٤

وما أحسن موقع تشبيه العروسة بنبات الأرض التي أخذت زخرفها وزينتها الفانية وحسنت بما خرج في رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان ، كذلك العروسة إذا زيّنت نفسها بمختلفة الألوان من أدوات التجميل ، وكادت أن تتفوض إلى أحب أهلها إليها من العريس ، وهو يظن أنه قادر عليها والانتفاع بها ، فأتاها أمر الله ، أى عاصفة الموت الشديدة بشكل الاصطدام ، فجعلها كأنها ماكانت حينا قبل ذلك ، حتى لا يرغب فيها العريس وغيره ، بل صار يخاف منها ويبعِّد نفسه عنها ، وهكذا أمور الدنيا كلها وأهلها بعد زوالها كأنها لم تكن بالأمس ، فاعتبروا يا أولى الألباب .

وقال الشاعر باللغة الأردية وهذه ترجمته :

يقول : وما هو جسم المرأة والرجل الذي يعشقه جميع بني آدم ؟ .

ثم يقول : وما هذا إلا منزل وعمارة قد بناها الله بالطين والتراب

وضع الله الدم المتجمد في جسم الإنسان بدل الطين ، والعظام فيه بدل الطوب واللبن .

وهذا الفلك الوهمي (أى جسم الإنسان) قائم على بضعة جُذُر من الأنفاس .

فلما تهب عاصفة الموت الهوجاء وتصدم بهذه العمارة فتدمرها وتهدمها وتكسرها ، فتعود هذه العمارة طينا وترابا مرة ثانية ، ويرجع كل شيء من جسده إلى أصله : فالعنصر الترابي في التراب ، والمائي في الماء ، والهوائي في الهواء والناري في النار انتهى ترجمة قول الشاعر .

وهذه تكملة من الأبيات العربية السابقة يقول الشاعر :

وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صِغار يرتجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

أختي الفاضلة ! هل هذه الأمور كلها ليست بحقيقة واضحة ، أمَا تتمنين أن فلذة كبدك هذا الولد لما يبلغ أشده سيكون الدكتور أو المهندس أو الطيار أو الأمير أو الرئيس أو الوزير ، ولكنه قد كتب القدر أن هذا الزهر والورد بألوانه وثمرة فؤادك قبل أن ترين زخرفه وزينته وبهاءه وورنقه وشبابه يقبضه ملك الموت وتدفنونه بأيدكم وتتركونه في ظلام القبر وحيداً ، فتصير كل الخطط الطويلة المرسومة في الأذهان هباءاً منثوراً .

أختي العزيزة ! هل لا تعرض هذه الحوادث المذكورة في بيوتنا اليوم ؟ فأين الاعتبار من هذه الأحوال والحوادث ؟ وهل قمنا وبذلنا الجهد بعد وقوعها في بيوتنا لنرضى ربنا سبحانه

الساخط الغضبان علينا بكثرة ذنوبنا وغفلتنا عن دينه الإسلام أو نعيش على ما هوينا ونتبع الشهوات إلى الآن ؟ وصدق الله العظيم : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية . الأنبياء : ١ - ٣ .

فهل إلى خروج من سبيل أيتها الأخوات ! من هذه الشهوات الفانية والغفلة والاعراض ومن اللهو واللعب ؟ .

قيل للإمام الشافعي رحمه الله : «ما لك تدمن إمساك العصى ولستَ بضعيف ؟ قال : لأذكر أني مسافر من الدنيا إلى الآخرة .

يحب الإمام رحمه الله أن يذكر الموت على كل خطوة ليكسر شهواته الدنيا ويرغب فيما عندالله أكثر فأكثر .

واسمعي ياأمة الله ! هذه القصة العجيبة التي حكاها الشيخ يزيد الرقاشي رحمه الله ، فإن فيها عظة وعبرة .

يقول : دخلت على عابد ، وإذا أهل بيته حوله ، وهو في سكرات الموت ، وفي اللحظات الأخيرة قال : فبكى أبوه ، فسأله لماذا تبكى ؟ فقال : يابنيَّ ! أبكي فقدك ، وما أرى من جهدك .

فبكت أمه ، فقال : أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة ! ما الذي يبكيك ؟ قالت : يا بنيَّ ! أبكى لفراقك ، وما أتعجل من الوحشة بعدك .

قال : فبكى أهله وصبيانه ، ونظر إليهم ثم قال : ما الذي يبكيكم ؟ قالوا : يا أباناً ! نبكي فراقك ، وما نتعجل من اليتم بعدك ، ولمن نخاطب بقولنا : ياأبانا ! بعد اليوم ، ومن

الذي يوفر لنا حاجاتنا بعدك ؟ وإلى من نشكو بعد ضرب الأطفال لنا ؟ ومن يقوم إلى مساعدتنا أمام هؤلاء ؟

وقالت زوجته : يا بعلي الكريم ! كيف أعيش في هذه الغرف الجميلة بعدك منفردة .... وقد كنت أنتظرك طول النهار وقد كنت أقول في نفسي : سيجيىء بعد قليل إن شاء الله ، وسجيىء بعد قليل ..... وجاء والله .... وقد كنت أقضي وقت الانتظار في هذه التفكرات والخيال وتتعب نفسي في انتظارك ، ولما كنت تدخل البيت وتنزله يزول كل التعب والنصب ، فالآن أيها الزوج ! وسند حياتي ! حان وقت الفراق ، ستذهب إلى واد لا ترجع منه إلى البيت أبداً ، وسيصبح هذا التعب والنصب والبكاء والفراق رفقائي بعدك طول حياتي ، وأتفكر مع من أجلس في الخلوة .... ومن أفتخر به وأقول : بأن هذا هو زوجي الكريم وتاج رأسي .

قال : فقال العابد : أقعدوني أقعدوني ، ثم قال : أرى كلكم يبكي لدنياي ، أمَا فيكم من يبكي لآخرتي ؟ أمَا فيكم من يبكي لما يلقاه في التراب وجهي ؟ أمَا فيكم من يبكي لمسألة منكر ونكير إياي ؟ أما فيكم من يبكي لوقوفي بين يدي ربي جل وعلا ؟ ثم خر صريعا وذاق الموت . اهـ .

أختي الفاضلة ! اسمعي جيداً ماتفعل بك الدنيا بعد يوم الدفن والكفن .

واعلمي ! أن الدنيا ستخرج اسمك من فهرس الأحياء ، وتسجله في فهرس الأموات .

وينساك الأصدقاء والأقرباء إلى الأبد بعد البكاء على موتك بضعة أيام .

تبكى أمك وأبوك على موتك بضعة أيام ثم ييأس كل واحد منهما ويسكت وينساك

يحزن زوجك عدة أيام فتشغله الأحوال والأشغال الجديدة ، وعسى أن يتزوج بامرأة ثانية صالحة وقانتة بعد موتك يلعب معها وتلعب معه ، وتعينه على الإيمان وعلى الأعمال الصالحة .

يذكرك الأولاد والأطفال وفلذة كبدك كثيرا ، ثم بعد عدة أيام تنطمس صورتك ونقشك من أذهانهم شيئا فشيئاً .

وتصير عاصفة الرياح والأمطار تذهب بارتفاع قبرك كما هي عادتها ، وتسوى به الأرض فتكوني نسيا منسيا حتى تمحو هذه الرياح والأمطار علامة قبرك الظاهرة من وجه الأرض .

وبعد مضي نصف القرن يصعب التأكد من نفسك وقبرك هل كنت في الدنيا موجودة أم لا ؟

عن محمد بن كعب القرظي قال : دخلت على عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في مرضه الذي مات فيه ، فجعلت أحدّ النظر عليه فقال : يا ابن كعب ! ما لك تحدّ النظر إليَّ ؟ قلت : لما نحل من جسمك وتغير من لونك ، قال : فكيف لو رأيتني بعد ثلاث في قبري ، وقد سالت حدقتاي على وجنتي ، وابتدر فمي وأنفي صديداً ودوداً ، كنت أشد لي نكرة . اهـ اعتبروا يا أولي الألباب .

فالبدار البدار أيتها الأخوات والأمهات ! في الرجوع إلى الله قبل أن ترجعين إلى الله ، وإلى هذه الحالة المذكورة .

واعلمي ! أن هذه الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة ، كوني من أحباء الآخرة لا من أحباء الدنيا ، اليوم يوم عمل ولا حساب ، وسيكون الغد يوم حساب ولا عمل ، فاعملي ما يحب ربك ويرضى .

وهذا يومك الدفن والكفن يا أختاه

فإذا تغضبين على ذلك ، فيومي الدفن والكفن

أختي العزيزة ! هل تفكرين أن الموت سهل ، وأن سكراته يسيرة ، هذا نبي الله ﴿ﷺ﴾ حينما حضرته الوفاة كان يغشى عليه ﴿ﷺ﴾ ثم يفيق فيقول : «إن للموت لسكرات ، اللهم أعني على سكرات الموت» رواه البخاري .

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها وفيه : « .... وبين يديه ركوة (أناء من جلد) فيه ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : «لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات (أى شدائد ومشقات) ثم نصب يده فجعل يقول : «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده» ﴿ﷺ﴾ .

وفي رواية للإمام أحمد عن عبدالله بن عبدالله قال : دخلت على عائشة فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﴿ﷺ﴾ ؟ فقالت : بلى ، ثقل رسول الله ﴿ﷺ﴾ وجعه فقال : «أصلَّى الناس ؟» قلنا : لا ، هم ينتظرونك يارسول الله ، فقال : ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا ، قالت : فاغتسل ثم ذهب لينوء (أى لينهض) فأغمي عليه ثم أفاق فقال : «أصلَّى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ! فقال : «ضعوا لي ماء في المخضب» ففعلنا ، فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال : «أصلَّى الناس ؟» قلنا : لا ، هم ينتظرونك يارسول الله ! قال : «ضعوا لي ماء في المخضب» ففعلنا ، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال : «أصلى الناس ؟» قلنا : لا ، هم ينتظرونك يارسول الله ! قالت : والناس عكوف في المسجد

ينتظرون رسول الله ﴿ﷺ﴾ لصلاة العشاء ..... الحديث . كما في البداية ٥ /٢٣٣ ، وأخرجه البيهقي : ٨ /١٥١ كما في الكنز ٤ /٥٩ .

تفكري ياأختاه ! ما هذا الشيء الذي بسببه يغتسل النبي ﴿ﷺ﴾ مراراً ؟ وما هو الذي بسببه يغمى عليه ﴿ﷺ﴾ مراراً ؟ أمَا هذه سكرات الموت ؟ اللهم إنا نعوذ بك من سكرات الموت آمين .

وعلم من هذا الحديث المذكور أن للصلاة أهمية بالغة عند النبي ﴿ﷺ﴾ ورفعة مكانتها في الإسلام ، والصلاة هي التي سأل رسول الله ﴿ﷺ﴾ عنها مراراً في مرضه الذي توفي فيها ، وأين نحن من أداء حق الصلاة والخشوع فيها .

وها أنت على فراش الموت يا أختاه!

تفكري ماذا تفعلين حينما يكون فراشك هذا آخر الفراش من فراش الدنيا ، ثم بعد ذلك لا تجدين أي فراش ولا وسادة ولا غرف نوم الحديثة الأمريكية وغيرها ، ستقوم عائلتك حولك آنذاك ، وتبكي والدتك وأخواتك وصديقاتك الغاليات ، وتصبح بناتك وأبناؤك الذين كنت لا تتحملين صعوبتهم وشدتهم ، وكنت تبكين حين يبكون ، وتصيحين حين يصيحون ، فاليوم كلهم يبكون على حالتك هذه ، وأنت غير قادرة على التكلم معهم إلا بالإشارة ، وتنظرين إليهم بعين الاستغاثة الملهوفة ، وهذا زوجك الذي كان سندك الوحيد في حياتك الظاهرة ، وكنت تفتخرين به وتفدين بنفسك عليه ، فاليوم لا يستطيع أحد منهم أن يحميك من سهم الموت ، ولا يقدر أحدهم أن

يرجع روحك إلى جسدك بعد خروجها منه ، وذلك قوله سبحانه :

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الواقعة : ٨٣ – ٨٧

وقال تعالى : ﴿ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ آل عمران : ١٦٨

والآن لا يؤثّر على أحد منهم بكاؤك وأنينك وشكايتك لشدة سكرات الموت وأهوالها .

وبينما أنت على تلك الحال إذا تمر أمام عينيك لحظات عمرك الغالي ، تمر عليك أيام الصبا ، تتذكرين ما مضى من الأيام ومن الليالي ، كيف قد مضت ؟ وكيف قد انقضت ؟ وكيف قد تولت ومضت وانتهت بسرعة ، كل شيء قد انتهى ، وها أنت على شفا هذه الدنيا في انقطاع منها ، وأقبال من الآخرة ، فالله سبحانه وتعالى يصف لنا هذه الحال ويقول :

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ق : ١٩ - ٣٥

وبينما أنت على تلك الحال إذ جاء ملك الموت ، لا تدرين ماتفعلين ، أما العقل فقد أصابته وشوشة ، وأما القلب فقد أصابه الإضطراب وبدأ يرجف ، وأما القدمان فقد بردتا ، والملك يبدأ في نزع تلك الروح الذي قال الله تعالى عنه : ﴿والنَّازعَاتِ غَرقَاً﴾ النازعات : ١ ، أى الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم فمنهم من تأخذ روحه بسهولة ، وكأنما حلته من نشاط ، ومنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها كما في التفسير لابن كثير ، وهذا كما قال تعالى : فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ محمد : ٢٧

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية المذكورة : أى كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصت الأرواح في أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كما قال تعالى : ﴿ولَو ترىٰ إذ يَتوفَّىٰ الَّذينَ كَفرُوا المَلائكةُ يَضرِبونَ وُجوهَهُم وأدبارَهم﴾ الأنفال : ٥٠ ، وقال تعالى : ﴿ولَو ترىٰ إذ الظَّالِمونَ فِي غَمَّراتِ المَوتِ والملائكةُ باسِطُوا أيدِيهم﴾ الأنعام : ٩٣ ، أى بالضرب ﴿أخرِجُوا أنفُسَكُمُ اليومَ تُجزَونَ عذابَ الهُوْنِ بما كنتُم تقُولونَ على الله غيرَ الحقِّ وكنتُم عَن آياتِه تَستَكبِرونَ﴾ سورة الأنعام : ٩٣ . انتهى ماذكره ابن كثير ٤ /١٨١ .

وقيل : إن سكرات الموت أشد من الطرق بالمطارق ، وأشد من

الجلد بالسياط ، بل وأشد من النشر بالمناشر ، وكيف لا إذا كانت الروح هي ذات المضروب ، وهي ذات المنزوع .

وبينما أنت على تلك الحال إذ نزعت روحك من جسدك ، وغدوت جثة هامدة ، وفارقت الروح الجسد ، وجعل الناس يقولون: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ، ويقول القائل : ماتت ابنتي ، ماتت زوجتي ، ماتت أمي ، وبدأ الأقارب والصديقات يبكون ، وبعضهم يفرح ويقول : الحمد لله الذي أنجانا من هذا الظالم أو الظالمة قد استراح منه العباد والبلاد والدواب ، حسناتك وسيئاتك يتردد على ألسنة الناس ، وتكون أقوال الناس هذه شهادة لك أو شهادة عليك كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال : «مُروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً ، فقال النبي ﴿ﷺ﴾ : وجبت ، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً ، فقال : وجبت ، فقال عمر : ما وجبت ؟ فقال : هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض» متفق عليه .

وفي رواية : «المؤمنون شهداء الله في الأرض» .

ففكري يا أختي ! ماذا يقول الناس فيك بعد الموت ، وماذا تجب لك من عندالله سبحانه الجنة أو النار ؟

وهذا وقتك الغسل بعد الموت

وكيف بك يا أمة الله ! إذاما وسدوك على الألواح ، وصاروا يغسلونك ، وكنت قبل ذلك تغتسلين ، ها أنت في ذلك اليوم

تُغسلين ، وقبل ذلك جعلت إحداهن تنزع عنك الأسورة والخواتم والمرط والحلقات ، وهكذا بدأت إحداهن تنزع عنك ساعتك النادرة والثياب وكل مايكون من أشياء الدنيا على جسدك .

ويا نازعة الثياب والأسورة والخواتم والحلقات من أختك الموضوعة المصرعة على الألواح انتبهي ! وتذكري : سيأتيك هذا اليوم ستنزع عنك كل ما تنزعي أنت من جسد أختك هذه المصرعة الميتة .

وهناك خياط جعل يجهز لك الزي النادر ذات موديل الأموات ببضعة أمتار من قماش أبيض يدعى الكفن ، مالبستيه في حياتك قط مثل هذا الموديل ، ثم يكفنونك وتدرجين فيها إدراجاً ، وكنت قبل ذلك تلبسين ثيابك بنفسك ، فأين الزي الحديث الذي اشتريته قبل عدة أيام بآلاف من الريالات ليكون زينة جسدك ويسر الناظرين ، والذي طفت لأجله الأسواق ومحلات الأزياء الحديثة ، فاليوم صارت هذه الموديلات الحديثة كلها زينة الشنط والدواليب ، أو يلبسنها أخواتك بعد اليوم .

ثم يكرمونك يا أمة الله ! أتدرين بماذا ؟ ببضعة مسحات من الحانوت ، ثم بعد الغسل والكفن ومسح الحانوت ستوضعين في مكان فسيح للرؤية الأخيرة ، يلقي الناس عليك النظرة الأخيرة التي لا نظرة بعدها ويودعونك الوداع الأخير بالبكاء والصيحة والفراق النهائي .

ياترى ! ماهو حال أمك في ذلك اليوم التي حملتك في بطنها تسعة أشهر ، وتعبت في سبيل تربيتك أياماً وليالىَ طوالا – مأدري هل ربتك أمّك بتربية إسلامية أو بتربية يهودية ونصرانية ؟ – .

الخياط يخيط الكفن



أختاه ! هذا الكفن الذي يجهزه الخياط ، هو نوع من الطراز واللباس الذي تلبسينه أنت وأخواتك يوما من الأيام ، فعلينا أن لا ننسى هذا الطراز ذات موديل الأموات ، وقد قال تعالى : ﴿فلا تنس نصيبك من الدنيا﴾ القصص : ٧٧ .

قال صاحب التفسير القرطبي ٧ /٢٠٨ : وقيل : أراد بنصيبه الكفن ..... كأنهم قالوا : لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك هذا الذي هو الكفن - لو تيسر لك - ونحو هذا قول الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كلّه   رداءان تلوى فيهما وحنوطُ

وقال آخر :

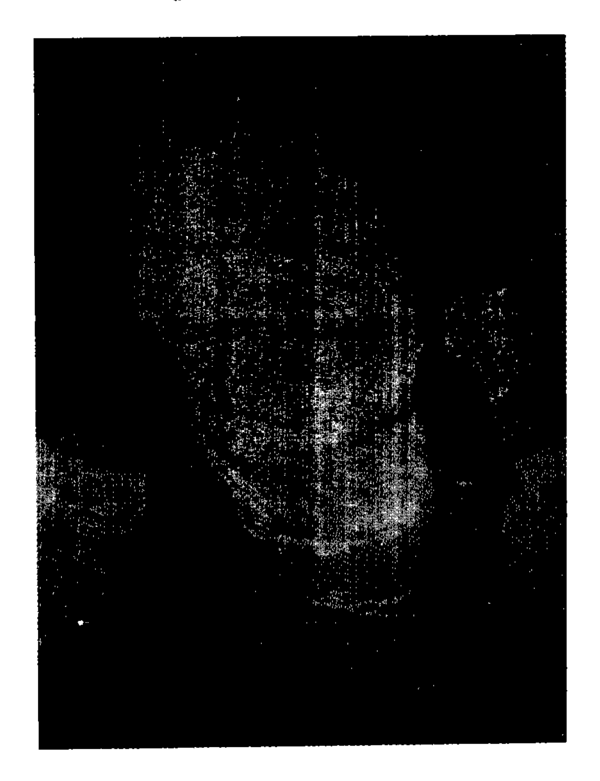
وهي القناعة لا تبغي بها بدلا   فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها   هل راح منها بغير القطن والكفن

الأخت الموضوعة على الأرض لإلقاء النظرة الأخيرة عليها من جهة الأقارب والصديقات التي لا نظرة بعدها ، وحولها أخواتها وصديقاتها الغالية



صورة الأخت الملفوفة في الكفن



أختي العزيزة ! كنت قبل ذلك لا تصدقين على هذا التستر والحجاب وكان العلماء يصيحون على ذلك ، ولكن اليوم قد حققت الشريعة بأنك شيء يستر ، وكنت قبل ذلك تنزلين على رغبتك حيث شئت وكيف شئت ، ولكن اليوم بعد الموت لا تنفذ رغبتك بل تخرجين من البيت مستورة كي يعرف الناس أن المرأة شيء يستر ، وهكذا سيحقق بعد الموت في القبر والحشر كل ما أخبر عنه العلماء تفهمينه أنت أم لا ؟

وقد قال ﴿ﷺ﴾ : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّادنه وينصّرانه ويمجِّسانه كما تنتج البهيمة هل تحسون فيها جدعاء» . رواه البخاري في كتاب الجنائز (باب ماقيل في أولاد المشركين) .

وكانت أمك إذا ماأصابها الهم والغم والكدر تنظر إلى وجهك المسرور فتذهب عنها كل هم وغم ، لكنها في ذلك اليوم لن تنظر إلى وجهك بعد تلك النظرة الأخيرة أية نظرة ثانية إلى الأبد .

وهؤلاء أخواتك وأبناؤك وصديقاتك فمنهم من أصيب باغماء على فراقك اليوم ، ومنهم من يبكي جشعاً لفراقك ومنهم من يصيح عند إلقاء النظرة الأخيرة على وجهك ، وما أحد منهم يدعونك باسمك بعد اليوم ، ولا بقوله : تعالي ياأختي ! بسرعة ، ولا بقوله : اسمعي ياأختي ! ولا بقوله : تفضلي ، وأجلسي معي ، ولا ..... ولا .... ولا .... وكانت هذه صديقاتك وأخواتك وبناتك اللاتي كنت تتجولين معهن في الأسواق والمحلات وقصور الأفراح والحدائق وتتهالك أجسادهن .

ياليت لو أن هذه الأقدام تمشي إلى حلقات العلم والعرفان وفي سبيل الرحمن .

ثم يحملك الأقارب والأجانب على أعناقهم ، ثم يمضون بك إلى المسجد أو إلى الموضع المعد لصلاة الجنازة فينادى مناد : الصلاة على المرأة يرحمكم الله ، فيصلون عليك صلاة الجنازة ، وكنت قبل ذلك تصلين أو لم تصلي ، ثم يحملوك ، وكنت قبل ذلك تخرجين من البيت كاسية عارية وكان شعرك مكشوفا ،

نعش الميت على أعناق الأقارب

مسافر الآخرة يسافر من الدنيا إلى منزله الأولى من منازل الآخرة ، وهذا سفره النهائي من أسفار الدنيا ، ومركبه أعناق الأقارب الذين يرجعون إلى منازلهم بعد وضعه في روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرات النار ، ولا ترجع هذا المسافر - المفوض إلى الحفرة - إلى منزله أبد الأباد .



وكنت لا تحبين البرقعة ولا الحجاب الشرعي - إلا ماشاء الله - غير أنك اليوم تخرجين على نعش الميت وبدنك مستور حق الستر حتى لا ينظر شئ من بدنك هذا ولا شعرة واحدة .

هكذا تقول شريعتنا البيضاء ياأختاه ! وتأمر احتراما وإجلالا لك بأن خروجك من البيت يكون على طريقة إسلامية كي لا يرفع أحد من الذئاب البشرية نظره إليك ، ولا يظهر جزء بدنك أمام الأجانب ، وكنت قبل ذلك لا تصدقين على هذا الستر والحجاب ولكن اليوم قد حققت الشيريعة بأنك شيء يستر ، وكنت قبل ذلك تنزلين على رغبتك حيث شئت وكيف شئت ، ولكن اليوم بعد الموت لا تنفذ رغبتك بل تخرجين من البيت مستورة كي يعرف الناس أن المرأة شئ يستر .

ثم أتدرين إلى أين ؟ أيرجعونك إلى دار ؟ لا والله ! ، أيرجعونك إلى أبناءك ؟ لا والله ! أيرجعونك إلى زوجك وأهلك ؟ لا والله ، يحملونك ويذهبون بك إلى المثوى الأخير يخاف منه الثقلان ويتعوذ منه النبي عليه الصلاة والسلام وأمرنا بذلك كما في الحديث الذي رواه مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال :

«بينا رسول الله ﴿ﷺ﴾ في حائط لبني النجار على بغلة له ، ونحن معه إذ حادت به - أي مالت ونفرت - فكادت تُلقيه ، وإذا اقبُرٌ ستة أو خمسة ، فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ قال رجل : أنا ، قال : فمتى ماتوا ؟ قال : في الشرك ، فقال : إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوَّذوا بالله من عذاب النار ، قالوا : نعوذ بالله من

عذاب النار ، قال : تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال . رواه مسلم في صحيحه .

ويأختي العزيزة ! إذا كنت صالحة فستقولين عندما يحملك أقاربك على أكتافهم : «قدموني» «قدموني» ، وإلا تصيحين مثل المذنبين ، وتضرعين إلى الناس وتقولين : لا تذهبوا بي إلى هذه الحفرة المظلمة ، ولكن لا يسمع بكاءك ولا صراخك أحد من الأقارب والصديقات التي أبعدنك عن أحب السبل إلى الله الإسلام بل كلهم يقولون : ادفنوها بسرعة ، وقد كانوا يلقون إليك النظر في حياتك فيفرحون ، وأما بعد الموت فإنهم يخافون من إلقاء النظر إليك ، فيسارعون في دفنك .

وتصديق ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة ، قالت : قدّموني ، وإن كانت غير صالحة ، قالت لأهلها : ياويلها أين تذهبون بها ، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمع الإنسان لصعق» متفق عليه كما في المشكاة باب المشي بالجنازة.

آه ! الآن أنت على مقربة من القبر الذي ستدفن أنت فيه ، وعلى جهة واحدة من القبر ها أنت موضوعة على السرير ، ويسترق الناس النظر إلى مثواك الأخير إلى حفرتك العميقة الموحشة أو المؤنسة ، ويدخل الرجلان اللذان يواريانك وينظفان

سرير الأخت جنب القبر الذي ستفوض إليه بعد بضعة دقائق إما إلى روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرات النار



الحفرة من الأحجار الصغيرة كيلا تؤذي جسمك اللين ، ولكن هل شعرا وشعر كل قريب لك عِظَمَ عذاب القبر ، وأنواعه من نار ووحشة وغربة وحيات وعقارب ، وضمة القبر حتى تختلف الأضلاع .

ألا أيها المسئول انتبه!

فإنها مسئولية لن ينجو منها إلا من أعطاها حقها في هذه الحياة ، وتدبر نداء المولى سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ التحريم : ٦ .

حتى لا تكون الحسرة والندامة يوم الدفن والكفن ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه وبئس للظالمين بدلا .

وفي أثناء ذلك – أى بعد إخراج الأحجار من القبر – نادى مناد من بينهم : أنزلا أنتما يافلان ! ويافلان ! في القبر ، فنزل رجلان كي يمسكا جسدك من الرأس وينزلاك في القبر ، وبدأ أحدهما يكرمك بوسادة من حجر أو اللبن بينما نزلوك في القبر قال بعضهم : برفق وعلى مهلكم أيها الأحباب ! كى لا تسقطى في القبر قبل الاسقاط من أيديهم ، وبعد أن وضعوك في القبر جعل بعض الناس يطولون أعناقهم مرة ثانية ليلقوا إليك نظرة أخيرة ، ثم يقول الجميع : أخرج يافلان ويافلان ، ولا يقول أحدهم : أخرجوا هذه فإنها أختي أو إنها ابنتى ، لا والله مايقولها أحد من الأقارب .

إنزال الميت في القبر

يا واضع الميت في قبره
خاطبك الدهر ولم تسمع

الأخت المفوضة إلى القبر قبل اغلاق الباب له ، وفراشها الحصير المصنوعة من أوراق النخيل ، أين فراشها الناعم الغالي والتي كانت تفتخر به .

هذا هو القبر الذي لا مفر لنا منه



وبعد بضع دقائق جعل بعضهم يغلق باب قبرك وحفرتك بالأحجار ، ثم بعد إغلاق هذا الباب جعل الناس يحثون عليك التراب بالآلات ، وبعضهم يلقون عليك قبضة من التراب ، وبعضهم يرشون القبر بالماء ، وبعضهم يضعون الأحجار على القبر من قِبَل رأسك لتكون عندهم علامة لقبرك ، وكل ذلك عملا بأحاديث الرسول ﴿ﷺ﴾ .

كما رواه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ صلى على جنازة ، ثم أتى القبر فحثى عليه من قبل رأسه ثلاثا» كما في المشكاة باب دفن الميت .

وعن جابر رضي الله عنه قال : رُش قبر النبي ﴿ﷺ﴾ ، وكان الذي رش الماء على قبره بلال بن رباح بقربة ، بدأ من قبل رأسه حتى انتهى إلى رجليه . رواه البيهقي في دلائل النبوة كما في المشكاة باب دفن الميت .

وعن المطلب بن أبي وداعة قال : لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه أخرج بجنازته فدُفن ، أمر النبي ﴿ﷺ﴾ رجلا أن يأتيه بحجر فلم يستطع حملها ، فقام إليها رسول الله ﴿ﷺ﴾ وحسر عن ذراعيه ، قال المطلب : قال الذي يخبرني عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ : كأني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله ﴿ﷺ﴾ حين حسر عنهما ، ثم حملها فوضعها عند رأسه وقال : «أعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي» رواه أبو داود كما في المشكاة باب دفن الميت .

وها أنت يا أختاه ! فوضت إلى التراب ، وصدقت عليك آية القرآن التي أنزلها عز وجل قبل أربعة عشر قرناً من فوق سبع سموات ألا ! وهي : ﴿ثمَّ أماته فأقْبَره﴾ عبس : ٢١

اغلاق باب القبر بالأحجار



بعد إنزال الأخت إلى القبر المعلم يغلق الباب بالأحجار الذي أدخلت منه وأنزلت في القبر ، وهذا الباب لا يفتحه أحد إلى يوم القيامة .

وقال الشاعر ما معناه :

أه ! وصل التراب إلى التراب فانظروا إلى عاقبة الإنسان ونهايته أيها الناس !
وصدقت آية القرآن على هذه الأخت المفوضة إلى التراب التي أنزلها الله عزوجل قبل أربعة عشر قرن ألا وهي : ﴿ثم أماته فأقبره﴾ عبس : ٢١ .
وهكذا يصدق عليك ياأختاه : كل ما أخبر عنه القرآن والحديث .

ثم يقف الناس قليلا حول قبرك ليسألوا الله لك التثبيت عند سؤال الملكين منكر ونكير ، لأنك الآن تسألين بعد الدفن ، وجعل الناس يدعون لك بالأدعية المأثورة التي ما وجدتِ لها فرصة على تعليمها ، شغلتك أعمال الدنيا وزينتها ، وما دعوت الله عزوجل لنفسك في حياتك وأفنيتها حتى أتاك عزرائيل عليه السلام .

وجعل القارىء يقرأ فاتحة البقرة عند رأسك ، وخاتمة البقرة عند رجليك بعد الدفن .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﴿ﷺ﴾ يقول : «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه ، واسرعوا به إلى قبره ، وليُقرأ عند رأسه فاتحة البقرة ، وعند رجليه بخاتمة البقرة» رواه البيهقي في شعب الإيمان وقال : والصحيح أنه موقوف كما في المشكاة باب دفن الميت .

ثم بعد ذلك يرجع الأقارب إلى منازلهم وهم محزونون ، وتركوك في القبر منفردة بأعمالك الصالحة أو الطالحة .

حينما يتولى عنك أقاربك من أبيك وزوجك وأخوانك وأخوالك وغيرهم وإنك لتسمعين قرع نعالهم ، أتاك ملكان فيقعدانك ، وتصديق ذلك في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم كما في المشكاة باب إثبات عذاب القبر وهو :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إن العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيُقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد - ﴿ﷺ﴾ - ؟ أما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله - ﴿ﷺ﴾ - ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من

الأقارب يحثون التراب على قبر الأخت ، أ مَا يطيب لأحد منهم أن يقول : لا تحثوا عليها التراب أيها الناس ! لانها مغسولة الآن وملبوسة الزي الحديث .



آه ! وصل التراب إلى التراب فانظروا إلى عاقبة الإنسان ونهايته أيها الناس !

النار ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، فيراهما جميعاً ، وأما المنافق والكافر ، فيقال له : ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا تليتَ ، ويضرب بمطارق من حديد ضربةً فيصيح صيحة يسمعها غيرُ الثقلين» متفق عليه ولفظه للبخاري .

وفي رواية لأحمد وأبي داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه : .... فيقولان له من ربك ؟ .... ما دينك ؟ .... الحديث .

أختي الفاضلة : ستبدئين في القبر حياة جديدة ومدهشة وقد تعوذ بالله من فزعه الأنبياء والأولياء والأتقياء ، والأحاديث في إثبات عذاب القبر منها :

روى أحمد وأبوداود كما في المشكاة باب إثبات عذاب القبر : وفيه :

قال : فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة ، فيفتح قال : فيأتيه من رَوحها وطيبها ويفسح له فيها مد بصره ، وأما الكافر فذكر موته قال : يعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان : ماهذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادى مناد من السماء : أن كذب ، فأفرشوه من النار ، وألبسوه من النار ، وافتحوا له بابا إلى النار ، قال : فيأتيه من حرِّها وسمومها ، قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ثم يقيَّض له أعمى أصم معه مِرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً فيضربه بها ضربة يسمعها مابين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ، ثم يعاد فيه الروح . اهـ

هــذه نـبـذة مـن حـيـاة جـديـدة فـي الـقـبـر يـاأخـتـاه ! لا مـثـيـل لـه فـي الحـيـاة الـدنـيـويـة إن شـرا فـشـر وإن خـيـرا فـخـيـر ، فـاسـتـعـدي لـهـذه الحـيـاة الجـديـدة مـن الخـيـرات وتـعـوذي مـن شـرهـا وعـذابهـا .

يـروى أن عـثـمـان بـن عـفـان رضـي الله عـنـه كـان إذا وقـف عـلى قـبـر بـكـى حـتـى يـبـلَّ لـحـيـتـه ، فـقـيـل لـه : تـذكـر الجـنـة والـنـار فـلا تـبـكـى ، وتـبـكـى مـن هـذا ؟ فـقـال إن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم قـال : «إن القـبـر أول مـنـزل مـن مـنـازل الآخـرة فـإن نـجـى مـنـه فـمـا بـعـده أيـسـر مـنـه ، وإن لـم يـنـج مـنـه فـمـا بـعـده أشـد مـنـه ، قـال : وقـال رسـول الله ﴿ﷺ﴾ : مـارأيـت مـنـظـراً قـط إلا والقـبـر أفـظـع مـنـه . رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث غريب كما في المشكاة باب إثبات عذاب القبر

وعـن أبي سـعـيـد رضـي الله عـنـه قـال قـال رسـول الله ﴿ﷺ﴾ : «لـيـسـلَّط عـلى الـكـافـر في قـبـره تـسـعـة وتـسـعـون تـنِّـيـنـاً تـنـهـسـه وتـلـدغـه حـتـى يـقـوم الـسـاعـة ، لـو أن تـنـيـنـاً مـنـهـا نَفـخ بالأرض مـاأنـبـتـت خـضـر» رواه الدارمي وروى الترمذي نحوه وقال سبعون بدل تسعة وتسعون . نفس المرجع

وعـن ابـن عـمـر رضـي الله عـنـهـمـا قـال قـال رسـول الله ﴿ﷺ﴾ : «هـذا الـذي تحـرك لـه الـعـرش (هـو سـيـدنـا سـعـد بـن مـعـاذ رضي الله عنه) وفـتـحـت لـه أبـواب الـسـمـاء ، وشـهـده سـبـعـون ألـفـاً مـن المـلائـكـة لـقـد ضُـمَّ ضُـمَّـة ثـم فُـرِّج عنه» رواه النسائي . كما في المشكاة باب إثبات عذاب القبر.

هـذه نـبـذة مـن الـحـيـاة الـبـرزخـيـة ، وكل نـفـس تـدخـل فـيـه وتـحـاسـب وتـذوق ذائـقـة الـقـبـر نـعـوذ بالله مـن عـذاب القبر .

وقـال الـشـاعـر :

يـاواضـع المـيـت فـي قـبـره خـاطـبـك الـدهـر ولم تـسـمـع

وقـال قـائـل بـعـد مـادفـن المـيـت فـي قـبـره : خـلـط الـتـراب بالـتـراب فـلـيـنـظـر الـنـاس الـعـاقـبـة والـنـهـايـة .

وقال منصور بن عمار رحمه الله تعالى : ينقسم الرجل بعد الموت إلى خمسة أجزاء :

(١) المال للورثة .

(٢) الروح لملك الموت .

(٣) الجسد واللحم للدود .

(٤) العظام للتراب .

(٥) الحسنات للدائن والمظلومين .

ثم قال : لو أخذت الورثة المال يجوز ولا بأس به ، وهكذا لو أخذ ملك الموت الروح وذهب به يجوز ولا بأس به ، لكن اجتهدوا أيها الناس واتقوا ! ألا يجرمنكم الشيطان ويسلب إيمانكم .

أختي العزيزة ! يذكر الله سبحانه غفلتنا وخوضنا في حب الدنيا ونعيمها وزهرتها وعدم طلب الآخرة حتى جاءنا الموت وزرنا المقابر وصرنا من أهلها فيقول سبحانه ويخوف عباده :

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

أيها الناس ! لا ينتهي الكلام إلى هذا الحد فإن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، ثم بعد ذلك سفر طويل ، ويسكن الرجل في القبر إلى يوم يبعثون ، ثم ماذا بعد ذلك ؟ يخبر عنه سبحانه ويقول :

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ

﴿فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾

المؤمنون : ٩٩ - ١١١

يامحمية هذا الدين ويأمل هذه الأمة المحمدية

أرجوك ياأمة الله ! اخرجي نفسك من أشغال الدنيا الفانية وارجعي إلى ربك طوعا أو كرها ، ولا تنظري إلى ماحرم الله ، ولا تسمعي ماليس بمباح ولا تمشي إلى مجالس الوقاحة الخبيثة ولا الأسواق مجالس الشيطان ، هذه الأشياء - لا سمح الله - تلقيك في حفرة التهلكة ، والوقت الذي تضيعين في هذا العبث خصصيه لعبادة الله ولتلاوة القرآن وذكر الله تعالى .

وهناك قصة لأختك الصالحة نبينها لك عسى أن تكون فيها عبرة لك ولأخواتك ألا وهي :

يحكى أن رجلا كان يسير في شوارع الكوفة وكان جائعا ، فرأى حديقة ، ورأى تفاحة ألقتها شجرة من الحديقة ، فأمسك

التفاحة وأكلها ، وبعد ما أكلها تذكر أنه ليس من حقه أن يأكلها حيث أنه سبحانه وتعالى يقول : ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تأكُلُوا أمْوَالكُم بَينَكمْ بِالباطِلِ إلّا أن تَكونَ تِجارَةً عَن تَرَاضٍ مِنكُم﴾ النساء : ٢٩ ، فذهب إلى حارس الحديقة وقال له : أخي الكريم لقد أكلت التفاحة من هذه الحديقة فخذ ثمنها لأنني أخاف أن يحاسبني الله على ماأكلته بالباطل وبغير إذن منك ، فقال له الحارس ياسيدي ! أنا حارس الحديقة ولا أملك السماح أو الرضا ومالي حق أن آخذ ثمنها ، فاذهب أنت إلى مالك الحديقة فهو الذي يستطيع السماح أو الرضا .

فسأله أين مالك الحديقة ؟ فدله الحارس على بيت مالكها ، فلما ذهب إليه بعد سفر طويل وطرق باب مالك الحديقة وقص عليه ماحدث ، فقال له مالك الحديقة : لا أسامحك ولا أقبل الثمن إلا بشرط ، فقال : وما ذاك الشرط ياعمّي ؟ قال : ذاك أن تتزوج ابنتي :

(١) عمياء العينين
(٢) صماء الأذنين
(٣) بكماء اللسان
(٤) قعيدة كسيحة لا تتحرك

اعتذر الشاب القادم ولكن مالك الحديقة مصر على شرطه ، فعجب القادم حيث لم يسامح ولم يقبل الثمن إلا بشرط قبول الزواج ، وأخذ يفكر في الأمر ويقول في نفسه : إذا لم أتزوج ابنته فلا سماح لي منه ، وإذا لم يسامحني ، فهي مسئولية أمام الله عن هذه التفاحة ، نظراً إلى قوله تعالى ﴿وَمَن يَعمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ الزلزال : ٨ ، فعليَّ أن أتزوجها مهما كان بها لأجل أن أنجو

بنفسي من عذاب الله عزوجل فعقد العقد وتزوج ابنة مالك الحديقة .

فقال والدها : لقد أخليت لك حجرة في بيتي فاذهب وصل العشاء وستجد الزوجة في انتظارك ، فصلى العشاء وطرق الباب على الزوجة وقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقصد بالسلام أن ترد الملائكة فيبارك الله لهم .

فوجد الزوجة مسلمة لا شية فيها ، ونظر إلى وجهها فكأنه القمر ليلة البدر ففرح بها فرحا شديداً ، ثم سأل هذا الشاب والدها : أمَا قلت لي أن ابنتي عمياء ... صماء ... بكماء ... وكسيحة القدمين ؟ قال : نعم هي :

- بكماء اللسان لأن لسانها لا يتكلم إلا بما يرضى الله .
- عمياء العينين لأن عينيها لا تنظران إلى ما حرم الله .
- صماء الأذنين لأنها لا تسمع بأذنيها إلا ما أحل الله .
- كسيحة القدمين لأنها لا تمشي بها إلا إلى مجالس العلم والدين وإلى بيوت الله .

ثم سأل الشاب لماذا زوجت ابنتك بي وأنت لا تعرفني والحال أنها جميلة صالحة قانتة تائبة خاشعة وذاكرة لله سبحانه ؟ فأجاب أن ابنتي هذه كانت ثقلا على رقبتي وأمانة ، وكان حقاً عليَّ أن أؤدي هذه الأمانة إلى أهلها - الأمين التقي - وفكرت : الشاب الذي يقطع المسافة الطويلة ليؤدي الثمن لبعض حبات الثمر مع أنه يجوز له أكلها في حالة الاضطرار والجوع كما قال تعالى : ﴿إنَّما حرَّم عليكُمُ المَيتَةَ والدَّم ولَحمَ الخِنزيرِ ومَا أهِلَّ به لِغيرِ اللهِ فَمَن اضْطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثْمَ عَلَيهِ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة : ١٧٣ . فكيف لا يؤدى حق ابنتى ويرعاه

فأدَّيت هذه الأمانة إلى أهلها ، وأرجو الله عزوجل أن يكرمنا بهذا العمل .

فهل آباؤنا اليوم يحبون ويختارون مثل هذه البنت العمياء ... الصماء ... البكماء .... وكسيحة القدمين ، وهل كل بنت تحب أن تختار هذه الصفات وتزين بها نفسها . اللهم حبِّب إلى بناتنا الإيمان وزيِّنه في قلوبهنَّ وكرِّه إليهن الكفر والفسوق والعصيان ، وجنِّبهن من مشابهة بنات اليهود والنصارى في جميع الأعمال الطالحة . آمين يارب العالمين .

أختي الفاضلة ! أنَّى لك هذه الصفات إلا ماشاء الله - لكن من جد وجد .

ويحكى أن الملك شجاع الكرماني رحمه الله ترك ملكه وآثر الآخرة على الدنيا ، وكانت له ابنة واحدة ، وكانت نبيلة وفهيمة وفقيهة - ولا حاجة إلى بيان مناقبها - وفيه كفاية بأنها كانت ابنة الملك الكرماني رحمه الله - فلما بلغت أشدها ، أراد الملك أن يزوجها فخاطبها الملوك وأبناؤهم من الأمراء والوزراء ، فرفضهم الملك جميعاً نظراً إلى خوضهم في حياتهم الدنيا ، ففكر الملوك والوزراء والأمراء ماندري ماذا يريد هذا الملك لابنته ؟ وما ندري لأي ملك ينكحها؟

فرآى الملك مرة رجلا مسكيناً في المسجد كان يصلي بخشوع وخضوع وحضور قلب ، وكان النور يتلألأ على وجهه ، فلما رآه الملك أحبه وأراد أن يزوجه ابنته ، وقال في نفسه : ومن يكون أعظم شأن من هذا المصلي ، فلما انصرف الرجل من صلاته قال له : أيها الرجل ! إن لي بك حاجة ؟ فقال : أبشر وتفضل ! فسأله هل أنت متزوج أم لا ؟ فقال : من ينكح ابنته بهذا المفلس المسكين ؟ ومن يسأل المساكين عن الزواج ؟ - وما انتبه الشاب

على أنه الملك الكرماني الذي ترك الملك وآثر الدين على الدنيا وزهرتها .

فقال الملك : لو ينكح الملك الكرماني ابنته لك فهل ترضى أنت وتقبلها ؟ فضحك الرجل وقال : أنّىٰ لي هذا ؟ أين أنا وأين الملك الكرماني وابنته ؟ وقرء عليه قوله تعالى قائلا : ﴿يا أيُّها الّذينَ آمنوا لايَسخرْ قَومٌ مِن قَومٍ عَسىٰ أن يَّكونوا خيراً مِنْهُمْ﴾ الحجرات: ١١ قال الملك : ماأنا بالذي يسخر منك أيها الرجل ، فقال الشاب: خلِّني ياعمِّي ! على حالي ولا تذلني أمام الناس ، فقال الملك : أنا الملك الكرماني ولا أقول إلا الحق ، فقال الرجل : إذا كان الأمر كذلك وأنت الملك الكرماني أتقبلها بقبول حسن وأتبرك بها لأنني سمعت من مناقبها شيئا كثيرا ، فقال الملك : إذا أنت راض فأمهلني رويدا حتى أسأل ابنتي ، فذهب الملك إلى ابنته وبين لها زهد هذا الشاب وتقواه ، والدليل على ذلك أنه يحسن في صلاته ويصلي صلاة الخاشعين ، وما ذكر عندها شيئا من مال الدنيا هل يوجد عنده أم لا ؟ .

قال المؤلف : تفكري أختي العزيزة ! ماأحسن الدليل على زهد هذا الرجل وتقواه ، يبينه الملك على ابنته بأنه يصلي صلاة الخاشعين ، ومن المعلوم أن للصحبة أثراً على البنات أكثر من الأبناء ، وقلوب البنات ألين من الأبناء وأصلح لتقبيل الأعمال الصالحة والطالحة من الوالدين ، ولقد كان أثر الوالد على ابنته واضحاً.

فقالت : قبلته ياأبت ولكن بشرط وهو : أن لا يكون هذا الرجل من محبي الدنيا وزينتها ، فزوج الملك ابنته هذا الرجل وأوصاها بطاعة بعلها وحسن معاشرته .

واسمعي ياأختي شيئا من حسن سيرتها ، فلما دخلت

ابنة الملك بيت زوجها فرأت في وسط البيت قلة ماء ورأت فوقها قطعة خبز يابسة ومغطاة بشيء ما ، فوقفت وقفة وخرجت من بيت بعلها وهي تقول :

ياأبتاه ! إلى من ذهبت بي وأنكحتني ؟ ألى مثل هذا الرجل ؟ فسمعه زوجها وقال : ألم تقبلي أن تعيشي مع زوجك المسكين؟ فلما سمعت قول زوجها قرأت عليه قوله تعالى : ﴿إِنَّ بَعضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الحجرات : ١٢ ، وقالت : هل فكّرت إني خرجت من بيتك نظرا إلى فقرك وإفلاسك ؟ كلا بل خرجت من بيتك لأن والدي المحترم شهد لك بالزهد والتوكل على الله ، فما وجدت فيك هذه الخصلة ، لأنك لو كنت زاهدا ومتوكلا على الله سبحانه فما تحب أن تضع قطعة من هذا الخبز لوقتك الآتي ، فقال الرجل: إني كنت صائما فوضعتها لأفطر به ، فقالت ابنة الملك : الصوم لله تعالى فصرت ضيفه سبحانه ، وعلى المضيف أن يكرم ضيفه ، فلماذا أنت وضعتها لوقتك الآتي ولإفطار صومك ، فتصدق الرجل بهذه القطعة اليابسة من الخبر فوراً ، ثم رجعت ودخلت بيت زوجها وحسنت عشرتهما .

ويأختاه ! هذه السيدة أم سليم رضي الله عنها : زوجت نفسها أبا طلحة ، فما كان لها مهر إلا إسلامه .

وقد ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٤٢٧ : أن أم سليم قالت : يا أبا طلحة ! ألستَ تعلم أن إلٰهك الذي تعبد ؟ إنما هو شجرة تنبت الأرض ، نجرها حبش بني فلان ؟ قال : بلى . قالت : أما تستحي أن تسجد لخشبة تنبت من الأرض نجرها حبش بني فلان ؟ قالت : فهل لك أن تشهد أن لا إله

إلا الله ، وأن محمداً رسول الله - ﷺ - وأزوجك نفسي ، لا أريد منك صداقاً غيره ؟ قال لها : دعيني حتى أنظر . قالت : فذهب فنظر ثم جاء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قالت : يا أنس ! قم فزوج أبا طلحة - وكان قد جاءها خاطباً - فما كان لها مهر إلا إسلامه . انتهى .

يا أمة الله ! ويا محمية هذا الدين ! فعليك أسوة هؤلاء البنات والأخوات والأمهات في إيثار الدين على الدنيا وزينتها والرجوع إلى طاعة الله ورسوله ﷺ لتكوني مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وقد ذكر القرطبي في تفسيره تحت قوله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ والرَّسولَ فأولئِكَ مَعَ الَّذينَ أنْعَمَ اللهُ عَليهِمْ مِنَ النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَدَاء وَالصَّالِحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفِيقَاً﴾ النساء ٦٩ قوله: وقالت طائفة : إنما نزلت هذه الآية لما قال عبدالله ابن زيد بن عبد ربه الأنصاري : يارسول الله ! إذا متَّ ومتنا ، كنت في عليين ، لا نراك ، ولا نجتمع بك ، وذكر حزنه على ذلك فنزلت الآية .

ثم قال : ذكر مكي عن عبدالله هذا : وأنه لما مات النبي ﷺ قال : اللهم أعْمِني حتى لا أرى شيئا بعده فعمي .

وحكاه القشيري فقال : اللهم أعمني فلا أرى شيئا بعد حبيبي ، حتى ألقي حبيبي - ﷺ - حتى عمي مكانه» اهـ من تفسير القرطبي ذكره تحت الآية المذكورة .

وروى ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال :

مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحُد ، فلما نعوا لها ، قالت : مافعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً ياأم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه : قال: فأشير إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدَك جلَل ! تريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجللُ يكون بمعنى القليل والكثير ، وهو ها هنا من القليل . راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٩٩ دار الكنوز .

ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها : اكشفي لي قبر رسول الله ﷺ ، فكشفته لها ، فبكت حتى ماتت . راجع الشفاء لقاضي عياض ٢ /٢٣ طبع دار الكتب العلمية .

وأخرج البخاري في الأدب ص ٧٨ عن القاسم بن محمد أن رجلا من أصحاب محمد ﷺ ذهب بصره فعاده فقال : كنت أريدهما لأنظر إلى النبي ﷺ ، فأما إذا قُبض النبي ﷺ فوالله مايسرني أن مابهما بظبي من ظباء تباله .

قوله : تبالة : بلد باليمن (والظبي : الغزال) وأخرجه ابن سعد في الطبقات : ٢ /٨٥ عن القاسم نحوه .

فعلم من هذه القصص أن أحب الأشياء من الدنيا وما فيها وأفضلها وأعلاها وأجودها وأحلاها إلى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء هو أن تكون العيون لرؤية وجه النبي صلى الله عليه وسلم .

أيها الراقصون! على صوت العود والبيانو ودندنته

ألا ! هـذه هي الأشياء التي جديرة بالذكر وجديرة أن نفدي بها أنفسنا ، وهذا هو الحب الحقيقي للنبي ﷺ بأن النساء والرجال من أصحاب الرسول ﷺ كانوا يحبونه أشد الحب ، وفدوا رسول الله ﷺ بأموالهم ومهجهم وقاتلوا في محبته ﷺ آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم ، ولازموه ولم يطيقوا فراقه ولم يصبروا عنه ، وليس لديهم غرض للعيون إلا رؤية وجه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وقراءة القرآن ، وليس لديهم غرض للآذن إلا الاستماع إلى أحكام الله ورسوله ﷺ كي يعملوا بها ، وليس لديهم غرض للأيدي إلا أخذ القرآن الكريم وكتب الحديث ومقام الملتزم والحجر الأسود وأن تلمس كل ما لمسه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من الحلال والمباح واكتساب الخيرات . وما أحسن قول القائل بالفارسية وهذه ترجمته :

يقول الشاعر : افتخر بعينيَّ لأنهما ينظران إلى حسنك وجمالك ، وبرجليَّ لأنهما سبب للوصول إلى بيت الله الحرام وإلى مسجد الرسول ﷺ وإلى كل عمل شرعي يحبه الله ، وأحب أن أقبّل يديَّ لا لأجل أنهما يداي ، بل لأجل أنهما يداك ، ولأنه أمسك بهما الكتاب الذي فيه شفاء لما في الصدور اهـ .

وكيف لا ؟ وقد ورد في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : من عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب

إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه ، وما يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحببتُه ، فإذا أحببته فكنتُ سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يُبصره به ، ويدَه التي يَبطِش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّه ....» الحديث رواه البخاري كما في المشكاة باب ذكر الله عزوجل والتقرب إليه .

إذا كان الأمر كما في الحديث القدسي أى «إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . إلى آخر الحديث .

فلماذا لا نشكر الله ونقبلها أن جعلها سببا للوصول إلى صراط الله المستقيم ، وهذا الحديث القدسي لا يطلق على الإنسان إلا بعد الانقياد الكلي لله سبحانه ويعيش الإنسان كعبد محض ويدخل في الإسلام كافة ويستسلم لرب المشارق والمغارب .

يحكى أنه سأل سائل عبداً ماذا تأكل ؟ قال : ماأطعمني ربي أى سيدي ، ثم سأله ماذا تلبس ؟ قال : ماألبسني ربي ، وقال ماذا تفعل ؟ فأجاب ماأمرني ربي ، قال : هل لنفسك أنت رغبة أو شهوة خاصة أم لا ؟ قال : لو كانت لي شهوة أو رغبة لا أكون عبدا بل أصبح سيدا .

أختي العزيزة : عندما يسلم الإنسان نفسه إلى إنسان آخر بسبب إحسانه البسيط وهو ليس بخالق له ولا هو مالكه الحقيقي ، فما هو اعتقادك بهذا المالك الحقيقي الذي أنعم عليك بنعم لا تعد ولا تحصى ، وأعطاك من كل ما سألتيه وتشهدين بشهادتين قائلة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وتقولين : إياك نعبد وإياك نستعين ،

وتقولين : نؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير نشكرك ولا نكفرك نخلع ونترك من يفجرك ، مع ذلك تمشين على رغبتك ، إن هذه ليست بعبادة ، بل هذا إقرار باللسان فقط وليس في القلب شيء كما قال تعالى : ﴿يقُولونَ بألسِنَتِهِمْ مَّا ليسَ في قُلوبِهِم﴾ الفتح : ١١ ، أو كما قال تعالى : ﴿يُرضُونَكُم بأفواهِهِم وتَأبىٰ قُلوبُهُم وأكثَرُهمْ فاسِقونَ﴾ التوبة : ٨ .

العبادة الحقيقية هو أن يكون الإنسان أمام ربه سبحانه «كالميت في يد الغسال» لا يعمل أي عمل برغبته بل ينظر فيه ويتفكر كيف أمرني ربي فيه ورسوله الكريم ﴿ﷺ﴾ .

ومن شأن المؤمن الحقيقي أنه لا يمشي ولا يمسك ولا ينظر حتى ولا يتفل ولا يبول برأيه وكيفيته بل يبحث فيه أوامر الله ورسوله ﴿ﷺ﴾ وعندما يعمل الانسان عملا حسب أوامر الله ورسوله يصبح محبوبا له وينال رضاه عزوجل و ﴿ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ربَّه﴾ .

وهذه بعض الأمثلة في امتثال أمر الله وأمر الرسول ﴿ﷺ﴾ للمؤمنين السابقين من الرجال والنساء الذين شهد الله تعالى لهم وأثنى عليهم من فوق سبع سموات بقوله : ﴿رضِيَ اللهُ عنهُم ورَضُوا عَنه﴾ البينة : ٨ ، وقال : ﴿أولئكَ هُمُ المُؤمنُونَ حقّاً﴾ الأنفال : ٤ وقال : ﴿أولئكَ همُ الفَائِزُون﴾ التوبة : ٢٠ وقال : ﴿وأولئكَ هم المُفْلِحون﴾ التوبة : ٨٨ وقال : ﴿أولئك همُ الرَّاشِدُون﴾ وقال : ﴿أولئك همُ الصَّادقُون﴾ الحجرات : ١٥ وقال : ﴿أولئكَ لهُمْ مَّغفِرةٌ وأجرٌ كبيرٌ﴾ هود : ١١ وقال : ﴿أولئكَ الَّذينَ هُدَى اللهِ فبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه﴾ الأنعام : ٩٠ ، وقال : ﴿فأولئكَ لهُمُ

الدَّرجَات العُلى﴾ طه : ٧٥ وقال : ﴿أولئكَ يؤتَونَ أجْرَهُم مَّرَّتين بِما صَبَرُوا﴾ القصص : ٥٤ وقال : ﴿أولئك الَّذينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ الحجرات : ٣ ، وغير ذلك من الآيات .

وهذه قصة عبدالله بن رواحة في سرعة امتثال أمره ﴿ﷺ﴾ أخرجها ابن عساكر عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه أتى النبي ﴿ﷺ﴾ ذات يوم وهو يخطب فسمعه وهو يقول : «اجلسوا» فجلس مكانه خارجاً عن المسجد حتى فرغ النبي ﴿ﷺ﴾ من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : «زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله» كذا في الكنز وأخرجه البيهقي أيضا نحوه عن عبدالرحمن بسند صحيح كما في الإصابة ٢ /٢٠٦ .

وهذه قصة عبدالله بن مسعود في سرعة امتثال أمره صلوات الله وسلامه عليه ، أخرجها ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال : لما استوى رسول الله ﴿ﷺ﴾ على المنبر يوم الجمعة قال : «اجلسوا» فسمعَ ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فجلس عند باب المسجد فرآه النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : «تعال ياعبدالله بن مسعود !» كذا في الكنز ٧ /٥٥.

يدل هذا الحديث على أن المؤمن الحقيقي لا يقدر أن يمشي على رغبته حيث شاء ومتى شاء ، بل إذا قيل له إجلس ههنا يجلس ههنا ، وإذا قيل له قم من هذا المجلس ، يقوم ولا يجلس فيه أبداً ، امتثالا لأمر الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه .

تفكروا في مجالسكم أيها الناس ! هل هي مصداق قوله سبحانه : ﴿وتَأتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنْكَرَ﴾ العنكبوت : ٢٩ ، أو غير ذلك ؟ وهل تسمح لنا الشريعة الجلوس في بعض مجالسنا

الشنيعة ؟ فاستفت قلبك السليم . وهل نتركها أم لا ؟ نظراً إلى قوله تعالى لعباده المؤمنين المفلحين : ﴿والَّذينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونٌ﴾ المؤمنون : ٣ .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ تُؤثِرُونَ الحياةِ الدُّنيا والآخِرَةُ خيرٌ وأبقىٰ﴾ الأعلى : ١٦ - ١٧ .

وهذه قصة فتاة أنصارية في الأمتثال أخرجها سعيد بن منصور وابن النجار عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : خطبت جارية من الأنصار فذكرت ذلك للنبي ﴿ﷺ﴾ فقال لي : «رأيتها ؟» فقلت : لا ، قال : «فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» ، (أى تكون بينكما المحبة والاتفاق) فأتيتها فذكرت ذلك لوالديها فنظر أحدهما إلى صاحبه ، فقمت فخرجت فقالت الجارية : عليَّ الرجل ، فوقفت ناحية خِدرها (ناحية في البيت يُترك عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر) فقالت : إن كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ أمرك أن تنظر إليَّ فانظر ، وإلا فإني أحرِّج عليك أن تنظر ، فنظرت إليها فتزوجها ، فما تزوجت امرأة قط كانت أحب إليَّ منها ولا أكرم عليَّ منها ، وقد تزوجت سبعين امرأة . كذا في الكنز : ٨ /٢٨٨ .

فانظري إلى أختك المسلمة أيتها المسلمة ! وإلى امتثال أمرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم في باب الحجاب وإلى طهارة نظرها من الأجانب ، وكيف نهرته قائلة : «إن كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ أمرك أن تنظر إليّ فانظر ، وإلا فإني أحرِّج عليك أن تنظر» .

وأما في هذه الأيام لا حاجة إلى أن نسأل أهل المخطوبة بالنسبة لالقاء النظر إليها - إلا ماشاء الله ـ لأنها تمشي في الأسواق بدون حجاب كاسية عارية ، بل كل من أراد من الخبيثين

أو الديوثين أن ينظر إليها فلينظر متى شاء وحيث شاء ، بل إنها لما تدخل إلى المحلات أو الدكاكين للشراء تظهر جمالها وترفع الحجاب مفتخرة مسرورة - أعاذنا الله منها - وذلك امتثالا لأمر الشيطان الخبيث القائل بالحلف والتأكيد :

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾

ص : ٨٢-٨٣

أما الطيِّبون من الرجال فيغضون أبصارهم عندما تعرض لهم هذه الخبيثات من النساء ويتعوذون بالله منهن . وصدق الله العظيم ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ﴾ النور : ٢٦ .

وهذه قصة ثانية لفتاة أنصارية في امتثال أمره ﴿ﷺ﴾ رواها الإمام أحمد عن أبي برزة الأسلمي قال : إن جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمرنهن ويلاعبهن ، فقلت لامرأتي : لا تدخلن عليكن جليبيبا، فإنه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن ، قالت: وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي ﴿ﷺ﴾ فيها حاجة أم لا ؟ فقال النبي ﴿ﷺ﴾ لرجل من الأنصار : «زوِّجني ابنتك» قال : نعم وكرامة يارسول الله ! ونعمة عين ، فقال ﴿ﷺ﴾ : «إني لست أريدها لنفسي» قال : فلمن يارسول الله ؟ قال ﴿ﷺ﴾ : «لجليبيب» فقال : يارسول الله ! أشاور أمها ، فأتى أمها فقال : رسول الله ﴿ﷺ﴾ يخطب ابنتك ، فقالت : نعم ونعمة عين ، فقال : إنه ليس يخطبها لنفسه إنما يخطبها لجليبيب فقالت : أجليبيب ابنه ؟ أجليبيب ابنه؟ لا لعمر الله لا نزوجه ، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله ﴿ﷺ﴾

فيخبره بما قالت أمها ، قالت الجارية : من خطبني إليكم ؟ فأخبرتها أمها ، قالت : أتردون على رسول الله ﴿ﷺ﴾ أمره ؟ ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني ، فانطلق أبوها إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال : شأنك بها فزوجها جليبيبا .

قال : فخرج رسول الله ﴿ﷺ﴾ في غزوة له فلما أفاء الله عليه قال لأصحابه رضي الله عنهم : «هل تفقدون من أحد ؟» قالوا: نفقد فلانا ، ونفقد فلانا ، قال ﴿ﷺ﴾ : «انظروا هل تفقدون من أحد ؟» قالوا : لا ، قال ﴿ﷺ﴾ : «لكني أفقد جليبيبا» قال : ﴿ﷺ﴾ : «فاطلبوه في القتلىٰ فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه ، فقالوا : يارسول الله ! هاهو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه ، فأتاهم رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقام عليه فقال : «قتل سبعة وقتلوه ، هذا مني وأنا منه ، مرتين أو ثلاثة ، ثم وضعه رسول الله ﴿ﷺ﴾ على ساعديه وحفر له ، ما له سرير إلا ساعد النبي ﴿ﷺ﴾ ثم وضعه في قبره ، ولم يذكر أنه غسله رضي الله عنه .

قال ثابت رضي الله عنه : فما كان في الأنصار أيم أنفق منها .

وحدث إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة ثابتا هل تعلم ما دعا لها - أى لفتاة أنصارية - رسول الله ﴿ﷺ﴾ ؟ فقال : قال : «اللهم صب عليها صباً ولا تجعل عيشها كداً» وكذا كان ، فما كان في الأنصار أيم أنفق منها . وهكذا أورده الإمام أحمد بطوله وأخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله ، راجع التفسير لابن كثير ٣ / ٤٩٠-٤٩١ .

تفكري ياأختاه في أختك المسلمة الأنصارية رضي الله عنها

كيف امتثلت بأمر الرسول ﷺ ووهبت نفسها وتزوجت برجل كان يدخل على النساء يمرنهن ويلاعبهن ولا يحبه الناس أن يدخل في بيوتهم ويلاعب النساء ، دعت نفسها وشهواتها التي تكون لابنة شابة في الزواج كذا وكذا كما تعرفين أكثر مما أعرف ، وذلك امتثالا لأمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

وانظري إلى وثوق إيمانها ويقينها برسول الله ﷺ ترد قول أبيها وأمها على وجوههما وترميها قائلة : «أتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟ ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني» .

فدعا لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخير والبركة ، وكذا كان فما كان في الأنصار أيم أنفق منها رضي الله عنها ، فما نالت البنت كل ذلك إلا بعد امتثال أمر الرسول ﷺ ، وكانت عندها رضوان الله ورسوله ﷺ فوق كل شيء .

إي والله هكذا نبينا ﷺ لن يضيّعنا وحياتنا بأمر يأمر به أمته ﷺ يطمئن به القلب أم لا ، بل يضيئ لنا حياتنا وينور قلوبنا بأقواله وأفعاله وأوامره الجميع ، وذلك إذا كان الإنسان مطيعا لأوامره ﷺ .

وانظري ياأختي ! إلى مكانة هذا الرجل الذي يحب النبي ﷺ ويحبه النبي ﷺ ويزوِّجه برضاه من يشاء ، ويقول فيه بعد قتله : «هو مني وأنا منه» مرتين أو ثلاثة ، وما كان له سرير إلا ساعد المصطفى ﷺ عند وضعه في القبر .

قال الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه القصة تحت الآية :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ الأحزاب : ٣٦

فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله ﴿ﷺ﴾ بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا ، ولا رأي ولا قول ، كما قال تبارك وتعالى :

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء : ٦٥

وفي الحديث : «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعا لما جئت به» ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيْدًا﴾ كقوله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيْبَهُمْ فِتْنَةٌ أو يُصِيْبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ اهـ من التفسير لابن كثير ٣ /٤٩١ .

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه فقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده ، فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﴿ﷺ﴾ : خذ خاتمك وانتفع به ، قال : لا ، والله ! لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم كما في المشكاة باب الخاتم .

وقال ابن كثير في البداية ٤ /٢٩١ : وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ورأى الناس يجنحون للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة خاف ، وقال للعباس : مابالهم ؟ قال : إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة فلما حضرت الصلاة ورآهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال ياعباس ! مايأمرهم بشيء إلا فعلوه ، قال : نعم ،

والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه . انتهى مافي البداية .

هذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» يفدي نفسه بأوامر الله ورسوله ﴿ﷺ﴾ ، ولكن الناس اليوم يريدون أن تكون أوامر الله تبعا لأهوائهم وحسب رغبتهم وشهواتهم ، وصار الناس يستفتون بنية أن يفتي المفتي برغباتهم وليس حرصاً على طاعة الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه .

أرجوك ياأختي ! ادخلي في السلم كافة كما قال تعالى :

﴿ياأَيُّها الَّذينَ آمَنوا ادخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ البقرة : ٢٠٨

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله - ﴿ﷺ﴾ - أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك . الخ .

وقال تعالى : ﴿ياأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا آمِنُوْا باللهِ ورسُولِه﴾النساء: ١٣٦

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه الخ .

وقد اقتفى الخلف أثر السلف في الطاعة والمحبة ، ومازالت طائفة من هذه الأمة تُعرف بفرط محبتها وطاعتها لرسول الله ﴿ﷺ﴾ ، فنالتها من ربها نفحات واختصاصات إلهية ، قد أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «مِن أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله» .

وأخرج البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : إن قوما يأتون من بعدي يود أحدهم أن يفتدي برؤيتي أهله وماله» .

قال الهيثمي ١٠ /٦٦ : وفيه عبدالرحمن بن أبي الزِّناد وحديثه حسن وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات ، كما في حياة الصحابة ٢ /٦٧١ .

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : وددت أني لو رأيت إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني .

قال الهيثمي ١٠ /٦٦ : رواه أحمد وأبويعلى ولفظه :

«ومتى ألقى إخواني ؟ » قالوا : يارسول الله ! ألسنا إخوانك ؟ قال : «بل أنتم أصحابي ، وإخواني الذين آمنوا بي ولم يروني» .

وفي رجال أبي يعلى محتسبٌ أبو عائض وثقه ابن حبان وضعَّفه ابن عدي ، وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير الفضل بن الصبَّاح وهو ثقة . وفي إسناد أحمد جَسْر وهو ضعيف ، ورواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير محتسب . اهـ راجع حياة الصحابة ٢ /٦٧١-٦٧٢ .

وروى القاضي عياض في الشفاء عن عبدة بنت خالد بن معدان قالت : ماكان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، وإلى أصحابه ، من المهاجرين والأنصار ، يُسميهم ، ويقول : هم أصلي وفصلي ، وإليهم يحن قلبي ، طال شوقي إليهم ، فعجِّل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم . الشفاء ٢ /١٨ طبعة عثمانية .

وقد بشَّر النبي صلى الله عليه وسلم للذين يأتون من بعده كما أخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﴿ﷺ﴾ جالسا فقال : «أنبئوني بأفضل أهل الإيمان إيماناً !»

قالوا : يارسول الله ! الملائكة ، قال : هم كذلك يحق لهم ذلك ، وما يمنعهم من ذلك وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها ؟ بل غيرهم ! قالوا : يارسول الله ! الأنبياء الذين أكرمهم الله برسالته والنبوة ، قال : هم كذلك ويحق لهم ، وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالمنزلة التي أنزلهم بها ؟ قالوا : يارسول الله ! الشهداء الذين استشهدوا مع الأنبياء ، قال : هم كذلك ويحق لهم ، وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالشهادة ؟ بل غيرهم! قالوا : فمن يارسول الله؟ قال : «أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ، ويصدّقون بي ولم يروني ، يجدون الورق المعلق - المراد المصحف - فيعملون بما فيه ، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً» .
قال الهيثمي ١٠ /٦٥ رواه أبو يعلى كما في «حياة الصحابة ٢ /٦٦٩-٦٧٠ طبع دار القلم بيروت .

وعند أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «طوبى لمن رآني وآمن بي ! وطوبى لمن آمن بي ولم يرني» سبع مرات . قال الهيثمي ١٠ /٦٧ : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجال الصحيح غير أيمن بن مالك الأشعري وهو ثقة انتهى كما في «حياة الصحابة ٢ /٦٧١ .

أختي المحترمة ! هل لنا نصيب من هذه البشارة بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بأن نكون من هؤلاء الذين قال النبي ﴿ﷺ﴾ فيهم : «من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي» وقال «فهؤلاء أفضل الإيمان إيمانا» وقال : «طوبى لمن آمن بي ولم يرني» سبع مرات .

أو نحب أن نكون من هؤلاء الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، أو نحب أن نكون من هؤلاء

الذين قال الله تعالى في شأنهم : ﴿كُلُوا وتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إنَّكُم مُجْرِمُونَ﴾ المرسلات : ٤٦ .

اعلمي ياأختي ! أن الحياة ستمضي على كل حال ولكن الحياة الطيبة والممتعة هي التي تمضى على سنة المصطفى ﴿ﷺ﴾ ، فلو نتعهد حكمه ﴿ﷺ﴾ على كل قدم وعلى كل لحظة سنجد في حياتنا الدنيا الراحة والطمأنينة . ويدل على ذلك قول الخالق سبحانه : ﴿مَن عَمِلَ صالحاً مِنْ ذَكَرٍ أو أنثَىٰ وهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طيِّبةً ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أجْرَهُمْ بِأحسَنِ مَا كانُوا يعمَلُونَ﴾ النحل : ٩٧

هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا ، وهو عمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﴿ﷺ﴾ من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله ﴿ﷺ﴾ ، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عندالله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ماعمله في الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت . قاله ابن كثير ٢ /٥٨٦ .

يستفاد من هذه الآية أن الله لا يقبل عمل الكافر ولو صالحا .

أختي العزيزة! هل لك نصيب في قراءة القرآن وتدبره

ياجوهرة الكون المكنونة ! لا تضيعي الوقت فيما تشتهيه النفس من المرغوبات الحديثة مثل الأفلام الشنيعة والمجلات الفاحشة ، بل قدري وقتك الثمين حق قدره واقضيه في تعليم الإسلام وقراءة القرآن وفهمه والذي يثاب قارئه عشر حسنات على الحرف الواحد .

وهذا النبي الكريم ﴿ﷺ﴾ يشكو يوم القيامة إلى الله سبحانه

قوما تركوا القرآن واشتغلوا في القصص والحكايات وغير ذلك من الأعمال الدنيوية فيقول :

يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ الفرقان : ٣٠ .

ولهجران القرآن الكريم صور منها ماذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى المذكور : ٣/ ٣١٨ .

(١) عدم الاستماع إلى القرآن من هجرانه .

(٢) وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه .

(٣) وترك تفهمه وتدبره من هجرانه .

(٤) وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه .

(٥) والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه . اهـ .

تأملي ياأختي الفاضلة : حينما يشكو الرسول ﴿ﷺ﴾ إلى الله سبحانه على هذه الأمة والأمة أمامه سبحانه فماذا يكون جوابنا آنذاك؟

وتفكري أيضاً ! أمَا يصدق علينا هذه الأقوال كلها بحق ، وهذه الصفات المذكورة تجدينها في الكفرة الفجرة الذين لا يمسون القرآن ولا يتلونه ولا يستمعون إليه ولا يتدبرونه ولا يفقهونه ولا يمتثلون أوامره ولا يجتنبون نواهيه ، بل يعدلون عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو طرب أو لهو .

أمَا نجد هذه الصفات كلها في المسلمين اليوم ، نجد الوقت للأفلام والغناء والطرب ولقراءة المجلات الخبيثة ، وما نجد فرصة لقراءة ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾

أتحبين المشابهة هؤلاء أهل النار يشكوهم النبي ﴿ﷺ﴾ إلى الله سبحانه يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟ أو هل إلى رجوع من سبيل ؟

ألا ! فاستمعي إلى قول الرسول ﴿ﷺ﴾ يصف هذا القرآن العظيم كما ذكره الترمذي في سننه عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

«كتاب الله تعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ماينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق (أى ولا يبلى) على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرآناً عَجَباً يَهدِي إلى الرُّشد فآمنا به﴾ الجن : ١ - ٢ ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم» . رواه الترمذي والدارمي كما في المشكاة كتاب فضائل القرآن .

قال تعالى لسيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام : ﴿يايحيى خُذِ الكِتابَ بقُوَّة﴾ مريم : ١٢ . أى تعلم الكتاب بقوة أى بجد وحرص واجتهاد ، قاله الحافظ ابن كثير .

وذكر ابن كثير تحت الآية المذكورة : قول عبدالله بن المبارك عن معمر : قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب ، فقال : ماللعب خلقنا ، قال فلهذا أنزل الله تعالى : ﴿وآتيناهُ الحُكمَ صبيّاً﴾ مريم : ١٢ اهـ .

وأقول استجابة لربي جل وعلا ياأختاه ! خذي الكتاب بقوة واحرصي عليه واجتهدي فيه واتخذي تلاوة القرآن عادة لك في

آناء الليل وآناء النهار لأنها شعار المحصنات العابدات لأن هذا هو الكتاب المبين الذي نزل على الرسول ﷺ وخرجت كلماته من لسانه المبارك صلوات الله وسلامه عليه . ومن حسن حظك أن يتيسر لك قراءة الكلمات التي خرجت من لسان نبينا الكريم ﷺ .

وعندما يقرأ شخص كتابا لآخر فإن صاحب الكتاب لا شك يفرح ، فلماذا لا يفرح ربنا سبحانه وتعالى وينظر إليك بنظر الرحمة حين تقرئين كتابه سبحانه وتعالى . وصدق الله العظيم :
﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يونس : ٦١

قال ابن كثير رحمه الله ٢ / ٤٢٣ : أي إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راؤون سامعون . ولهذا قال ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان : «أن تعبدالله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» اهـ .

وهذا هو الكتاب الوحيد الذي يكتب لقارئه عشر حسنات على الحرف الواحد ، وهكذا نكتسب ثلاثين حسنة بقراءة ألف لام ميم ، فقط كما في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الٓمٓ حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف» رواه الترمذي والدارمي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح كما في المشكاة كتاب فضائل القرآن .

واسمعي ياأختي ! والسطر الواحد من القرآن الكريم يشتمل على ٤٠ حرفا ، ولو تقرئين سطرا واحدا منه ستكسبين (٤٠٠) حسنة ، وهذا لا يحتاج لمدة طويلة بل من الممكن أن تقرئي سطرا واحدا في نصف دقيقة ، ولو تقرئين الصفحة الواحدة في خمس أو سبع دقائق التي تشمل على خمسة عشر سطرا

ستكسبين ستة آلاف حسنة ويكتبها الملك في نفس الوقت في صحيفة أعمالك .

وتأملي ياأختي ! أن يوما واحدا منك يشتمل على ١٤٤٠ دقيقة وهل لا تستطيعين أن تنفقين منها (٥) أو (٧) دقائق لقراءة كتاب الله والتدبر فيه ، الذي أعطاك من كل نعيم الدنيا ، انظري إلى عينيك وأذنيك وإلى غير ذلك من الأعضاء تستعملينها في الأمور جميعا ، هل تستطيعين أن تعوضي عن هذه ؟ كلا ...... إذن لماذا التسويف والمطل والبخل والطغيان وأنت لا تخرجين على الأقل (٥) دقائق في اليوم لتلاوة كتاب الله .

واسمعي إلى من يحب سورة من القرآن ويقرأها مراراً فما بالك في الذي يحب كل القرآن ويقرأه آناء الليل وآناء النهار .

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فقال : سلوه لأيّ شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأها ، فقال النبي ﷺ اخبروه : «إن الله يحبُّه» متفق عليه كما في المشكاة كتاب فضائل القرآن .

وعن أنس رضي الله عنه قال : إن رجلا قال يارسول الله ! إني أحب هذه السورة : ﴿قل هو الله أحد﴾ ، قال : إن حبك إياها أدخلك الجنة» رواه الترمذي وروى البخاري معناه كما في المشكاة فضائل القرآن .

وما أعظم شأن قارئ القرآن تنزل الملائكة من فوق سبع سموات لتسمع صوت القارئ وتدنوا منه ، وما يلقاه إلا ذو حظ عظيم ، والدليل على ذلك في الحديث الآتي رواه البخاري ومسلم وأورده صاحب المشكاة في فضائل القرآن وهو :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير رضي الله

عنه قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده ، إذ جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرسُ فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه ، ولما أخَّره رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ فقال : اقرأ ياابن حضير ! اقرأ ياابن حضير ! قال : فأشفقت يارسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً ، فانصرفت إليه ورفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها ، قال : وتدري ماذاك ؟ قال لا ، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم . اهـ .

وفي رواية لهما : فقال - ﷺ - : «تلك السكينة تنزلت بالقرآن» متفق عليه . نفس المرجع المذكور .

قوله : «السكينة» هي الطمأنينة ، وهي تجيئ بمعنى الرحمة وبمعنى التأني والوقار ، وقيل : هي مايحصل به السكون وصفاء القلب وذهاب الظلمة النفسانية ونزول الرحمانية والحضور والذوق . لمعات .

أختي الفاضلة ! ويا باغية الطمأنينة والرحمة والوقار وصفاء القلب والنور ! تبحثين عن هذه الأشياء ٢٤ ساعة في التجارة والوظائف الحكومية وبالمشي في الأسواق والحدائق الظلمات ولا تجدينها ، كلا ولن تجديها حيث تبحثين عنها .

إي والله ستجدنها بل وأحسن منها في ميدان كتاب الله سبحانه الوسيع الربيع بقراءته وبالعمل بأحكامه وأوامره واجتناب نواهيه ، وصدق الله العظيم : ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينَّه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾ النحل : ٩٧ . والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت ، كما ذكرناه من قبل .

أيها الناس ! كذلك كتابنا الكريم القرآن الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾
فصلت : ٤٢ .

ألا فاسمعوا يقول ربي فيه :
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ التكوير : ٢٥ إلى ٢٨

قال ابن كثير رحمه الله ٤٨١ /٤ : قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أى فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عندالله عزوجل .

وقال قتادة : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أى عن كتاب الله وعن طاعته .

وقوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أى هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون به . ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أى من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية ، ولا هداية فيما سواه . اهـ .

ألا ! فلا تفارقوا الكتاب أيها الناس متى وحيث كنتم ، . واقرءوا القرآن على الدوام ولو بالقيام وستجدون بركاته إن أخلصتم إن شاء الله .

أختي الفاضلة ! من المحتمل أن تجلسي لقراءة سطر واحد من القرآن وتكسبين منه أربع مائة حسنة ... ولكن ببركة هذا السطر عسى أن يوفقك الله قراءة صفحة كاملة وتكسبين (٦٠٠٠) حسنة ، ولعلك لا تصل ذنوبك في الشهر إلى هذا العدد ، اللهم وفقنا لتلاوته آناء الليل وآناء النهار آمين .

الصلاة! الصلاة! أيتها الأخوات

ياجوهرة الكون المكنونة ! اعلمي : أن الله عزوجل قد أمر في كتابه للنساء أى أمهات المؤمنين بخمسة أمور منها : ﴿وأقِمْنَ الصَّلاةَ﴾ الأحزاب : ٣٣ ، وهذا الأمر ليس مختصا بأمهات المؤمنين بل يشمل جميع النساء ، فلذا علينا أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة كي نقى أنفسنا من نار جهنم كما ورد في القرآن الكريم : ﴿فِي جَنَّةٍ يَتَسَاءلُونَ عَنِ المُجْرِمِينَ﴾ أى يسألون المجرمين وهم في الغرفات (أى غرفات الجنة) وأولئك في الدركات قائلين لهم : ﴿مَاسَلَكَكُمْ فِي سقَرَ ؟ قالوا لَمْ نكُ مِنَ المُصَلِّينَ وَلَمْ نكُ نُطعِمُ المسكِيْن ، وكُنَّا نخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ﴾ المدثر : ٤٠-٤٥

وقال تعالى في آية أخرى : ﴿فَخلَفَ مِن بَعدِهِم خَلْفٌ أضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوْا الشَّهْوَاتِ فَسَوفَ يَلْقَونَ غَيّا﴾ مريم : ٥٩

قال ابن كثير رحمه الله ١٣٨ /٣ : ﴿أضَاعُوا الصَّلاةَ﴾ وإذا أضاعوا الصلاة فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد ، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمئنوا بها فهؤلاء يلقون غيا أى خساراً يوم القيامة .

أختي الفاضلة ! هل لا يصدق علينا اليوم معنى هذه الآية بالحق نضيع صلواتنا لحطام هذه الدنيا ونحن مشغولون في الشهوات النفسانية وفي الكماليات من أمور الدنيا .

وقد قال ﴿ﷺ﴾ : «إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر» الحديث رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه كذا في الدر المنثور .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «المرأة إذا صلت خمسها ، وصامت شهرها ، وأحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت» رواه أبونعيم في الحلية كما في المشكاة باب عشرة النساء .

والصلاة هي التي سأل رسول الله ﴿ﷺ﴾ عنها مراراً في مرضه الذي توفي فيه بقوله : : أصلى الناس ؟ ...... أصلى الناس ؟ .... أصلى الناس ؟ .... ويقال له ﴿ﷺ﴾ : لا يارسول الله ! هم ينتظرونك الحديث كما ذكرناه من قبل .

وهي التي كانت عامة وصية رسول الله ﴿ﷺ﴾ حين جعل يغرغر بها ، وما يفصح بها لسانه .

وعن علي رضي الله عنه قال : كان آخر كلام النبي ﴿ﷺ﴾ : «الصلاة الصلاة ، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم» كما في البداية ٥ /٢٣٨ ورواه أحمد والبخاري في الأدب وأبو داود وابن ماجه .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر : «لا إسلام لمن لم يصل» الكنز ٤ /١٨٠ .

فإن قال قائل : إنا نرى المصلين لا يحترزون عن اللغو في الفعل والفضول في الكلام ، بل نراهم يكذبون صراحاً ويغتابون الناس ويَعدون فيُخلفون وعودهم وينقضون عهودهم ويفعلون المنكرات فما هي الفائدة من مثل هذه الصلاة ؟

فنقول : ذلك لأنا لا نقيم الصلاة حق إقامتها ، ولا نؤديها كما أمرنا ، فلذلك نقع في اللغو والمنكر ، ونرى بعض الناس لايتوبون من هذه المنكرات إلا إننا نقول : إن الرجل المصلي مهما كان غافلا أحسن من الذي لا يصلي ، ونأمل أن صلاته سوف تنهاه عن المنكرات وتقربه من الحسنات إن شاء الله .

وتصديق ذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق ، فقال : «إنه سينهاه ماتقول» راجع التفسير لابن كثير ٣ /٤١٦ .

وقال البغوي روي عن أنس رضي الله عنه قال كان فتى من الأنصار يصلي صلوات الخمس مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ ثم لم يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه ، فوصف لرسول الله ﴿ﷺ﴾ حاله ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إن صلاته تنهاه يوماً» ، فلم يلبث أن تاب وحسن عمله .

أختي العزيزة : فالمصلي إذا وقع في معصية لغفلة أو غلبة نفس أو تسلط شيطان فهو يوفق بالندامة على عمله والتوبة عن فعله فيتوب ويستغفر ويستعين بإقامة صلاته القادمة طرفي النهار وزلفا من الليل ، فيتوب عليه ربُّه ويمحو سيئاته كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود : ١١٤ ، خلافا لمن لا يصلي فإنه يزداد في الطغيان والعصيان والبعد عن الرحمن والقرب من الشيطان ، فيلجمه لجام الحمار ويركب عليه ويستحوذ فيدوره حيث شاء من أودية الذنوب والمعاصي .

ثم علينا أن لا نخادع أنفسنا بأن نجترئ على المنكرات والمعاصي

قائلين إنا نصلي الصلوات بعد السيئات ونكتسب الحسنات بعد اقتراف المنكرات فيصدق علينا قوله تعالى : ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود : ١١٤ لأن المخاطبين الأولين يعني أصحاب النبي ﴿ﷺ﴾ ماجنحوا إلى المعصية بل رغبوا في الطاعات رغبة زائدة على ماكانوا عليها من قبل شأن العبد الوفيّ لمولاه .

ثم نقول لمن يجترئ على المنكرات : كيف تتيقن أنك تمهل إلى أن تتوب وتكسب الحسنات ولا يأتيك أجلك قبل التوبة واكتساب الحسنات ؟

فاتق الله ولا تلق بيديك إلى التهلكة ، ولا تضرب بالفأس على رجلك في سبيل الشيطان فتهلك في هذه الهلكة التي وقعت فيها لأنك لا تدري بأي أرض تموت ؟ وبأي حال تموت ؟ ولا تجد الفرصة فيصلى عليك قبل أن تصلي الصلاة لنفسك وتستغفر ربك ، وإنا رأينا بعض الناس يموتون وهم في حالة الزنا ، ورأينا الناس يموتون وهم في حالة السجدة ، وقال ﴿ﷺ﴾ : «يبعث كل عبد على ما مات عليه» أي من العمل خيراً كان أو شراً فيجازي به . رواه مسلم وابن ماجه .

وفي الصحيحين : «إذا أنزل الله بقوم عذاباً ، أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم» كما في المشكاة باب البكاء والخوف .

فما تحب من هاتين الحالتين أيها الرجل ! فاخترها لنفسك فإن ربك لبالمرصاد وبطشه شديد ، وملك الموت الذي وكل بك يرصدك في كل حين ليتوفاك ويذهب بك إلى مأواك الذي لا ينفع فيه إلا العمل الصالح .

وقال تعالى : ﴿ولَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إذا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ المنافقون: ١١

وقال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُم فَلا يَستَأخِرُونَ سَاعَةً ولا يَستَقْدِمونَ﴾ يونس : ٤٩ .

فعلينا أيتها الأخت ! أن نصلي الصلوات الخمس بالخشوع والخضوع معرضين عن اللغو والباطل من الأقوال والأفعال في وقت الصلاة وغيرها لكي يصدق علينا قوله تعالى :

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ المؤمنون : ١ - ٣

قال العلماء : الخشوع في الصلاة هو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا ، ولا يعمل عبثا ، ولا ينظر إلى الجدران ولا يكف ثوبا ، ولا يلعب بلحيته ولابثوبه وغير ذلك مما يعتري الذي لا يخشع في صلاته .

وقال ابن سيرين رحمه الله : الخشوع : هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك .

وقال ابن تيمية : هو واجب من واجبات الصلاة ، ومن فاته كان آثما عاصيا . الفتاوى لابن تيمية ٢٢ /٥٥٤ .

فمن أراد الخشوع فعليه أن يتدبر هذه الآيات والأحاديث وسيجد إن شاء الله قسطا من الخشوع :

(١) التدبر في القرآن عند استماعه و عند قراءته في الصلاة ، قال تعالى : ﴿أفلا يَتدَبَّرونَ القُرآنَ أم عَلى قُلوبٍ أقْفالُها﴾ محمد : ٢٤
والتدبر لايتصور بدون الوقوف على المعنى . ﴿أفلا يتَدَبَّرُونَ القرآنَ ولَو كانَ مِن عِندِ غيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ اختلافاً كثيراً﴾ النساء : ٨٢

(٢) الترتيل في القرآن عند قراءته في الصلاة كما قال تعالى : ﴿ورَتِّلِ القُرآنَ تَرتِيلا﴾ أى انبذه حرفاً حرفا ، وتلبث في قراءته وتمهل فيها، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده . قاله الضحاك رحمه الله .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما : «لأن أقرأ سورة أرتلها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كله» .

(٣) قال تعالى : ﴿وأقِمِ الصَّلاة لِذِكري﴾ طه : ١٤ ، فظاهر الأمر للوجوب ، والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة .

(٤) قال تعالى : ﴿ولا تكُنْ مِّنْ الغافِلِينَ﴾ الأعراف : ٢٠٥ ، وعلى المصلي أن لا يكون غافلا في الصلاة وغيرها من الأمور عن الله سبحانه ، والصلاة أهم العبادات وأفضلها .

(٥) قال تعالى : ﴿حتَّى تَعلَمُوا مَا تقُولُونَ﴾ النساء : ٤٣ ، تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق المهتم بالدنيا فإذا قرء الانسان شيئا في الصلاة ولم يعلم فهو غافل مستغرق في شهوات الدنيا وغافل عن الله سبحانه الذي يخاطبه ﴿إيَّاكَ نعبُدُ وإيَّاكَ نستعَينُ﴾ الفاتحة : ٤ .

وقال الشاعر :

تخاطبه إياك نعبد مقبلا   على غيره فيها لغير ضرورة
ولو ردَّ من ناجاك للغير طرفه   تميَّزت من غيظ عليه وغيرة
ألا تستحي من مالك الملك وأن يرى   صدودك عنه ياقليل المروة
صلاة أقيمت يعلم الله أنها   بفعلك هذا طاعة كالخطيئة

(٦) قال ﴿ﷺ﴾ : «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها» .

ولفظ هذه الرواية عند ابن القيم في كتابه «الصلاة وأحكام تاركها» : «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها» والمعنى عنده : إذا لم يعقل في صلاته إلا في جزء واحد كان له الأجر بقدر ذلك الجزء وإن برئت ذمته من الصلاة . وتصديق ذلك في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه باب ماجاء في نقصان الصلاة عن عمار بن ياسر قال سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عُشر صلاته

تُسعها ثُمنها سُدسها خُمسها رُبعها ثُلثها نصفها» اهـ .

وذلك الأجر حسب قدر الخشوع في الصلاة ، والبعض يعود صفر اليد من الأجر إذا لم يعقل في الصلاة ولا في جزء واحد ، وهؤلاء يصدق عليه قوله ﴿ﷺ﴾ : «يأتي على الناس زمان يصلون ولا يصلون» رواه الإمام أحمد في ر سالته : «الصلاة وما يلزمها» .

فالحاصل أن أداء الصلاة بدون وعي وشعور وخشوع وحضور ماهي إلا صلاة شكلية خداج غير نافعة خالية من الفضائل والبركات المذكورة في السنن والآثار للمصلين .

انظري ياأختاه : إلى خوضك في أعمال الدنيا ، كيف تسعين وتجتهدين في الحصول عليها وتغفلين عن رب الأنام .

وإليك مثال بسيط حينما تستمعين إلى الهاتف وتتكلمى مع الآخر فتتوجهين إليه توجها تاماً وتهتمي به ، ولا تريدين أن يختلط صوت غيرك بكلامك حتى لا تلتفتين يمينا ولا شمالا إذا كان هناك كلام هام على الهاتف ، هذا هو أسلوبك مع صاحبك في التكلم والاستماع فتستمعين إليه كل الاستماع ، وهذا ربك تناجينه وتدعينه ولا تدري ماذا تقولين ؟ وبماذا تخاطبينه؟ فشتان بين كلام العبد وكلام خالق العبد يا أبا العجب .

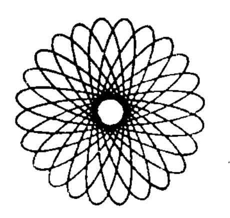
فلماذا لا تسلكين نفس الأسلوب في الأعمال الدينية في العبادات والعقيدة ، فكأنك ترجحين الدنيا على الدين قال تعالى : ﴿يَعلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحياةِ الدُّنيَا وهُم عن الآخِرَةِ هُم غَافِلونَ﴾ سورة الروم : ٧ .

وقال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ الماعون : ٤ – ٥

تذكر حالتك أيها المصلي ! قبل الصلاة وبعد أدائها هل رأيت فيك تغيُّرا ؟ هل هناك تغير بين ذهابك إلى المسجد وإيابك منه ؟ وهل أمرتك صلاتك بالمعروف ونهتك عن الفحشاء والمنكر والشهوات بأنواعها ؟ إن لم يكن فلماذا ؟

وتذكر قول النبي ﴿ﷺ﴾ : «يوشك أن تدخل مسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا» أخرجه ابن ماجه بسند صححه الألباني حفظه الله .

وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ومن أراد البسط في الخشوع في الصلاة فعليه أن يطالع كتابنا «أين الخاشعون في الصلاة» المطبوع بالمدينة المنورة بمطابع الرشيد .



الحجاب ! الحجاب !
قبل العذاب يا أختاه !

أختي العزيزة ! في هذه الأمور الخمسة التي أنزلها الله تعالى لأمهات المؤمنين ولك من فوق سبع سموات نجد فيها حكم الحجاب ، ونزول حكم الحجاب يدل على عظمة شأنك ورفعة مكانتك في الإسلام كي لا ينظر إليك شرار الخلق وقليلو الحياء وأرسل الله سبحانه جبريل عليه السلام إلى نبيه ﴿ﷺ﴾ بهذا الحكم قائلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ ،

الأحزاب : ٥٩

قال ابن كثير في تفسيره : ٥١٩ /٣ : يقول تعالى آمراً رسوله ﴿ﷺ﴾ أن يأمر النساء المؤمنات - وبخاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء .

وذكر بعد قليل عن ابن عباس قوله : : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة .

قوله : ﴿ذلك أدنىٰ أن يُعرفْنَ فَلَا يُؤذَينَ﴾ الأحزاب : ٥٩ ، أى إذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر ، لسن بإماء ولا عواهر .

وقال السدي في تفسير قوله تعالى : كان ناس من فساق أهل المدينة

يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة ، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطريق يقضين حاجتهن ، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن ، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا : هذه حرة فكفوا عنها ، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا : هذه أَمَة فوثبوا عليها .

فعلم من ذلك أن عدم التستر والحجاب كان هو شعار الأماء والعواهر لا الحرائر من المسلمات ، وأيضا هو شعار الجاهلية الأولى . ومن تشبه بقوم فهو منهم .

كما بين الله تعالى آداب نساء النبي ﴿ﷺ﴾ ومن ضمنها نساء الأمّة وهن تبع لهن في ذلك فقال تعالى : ﴿ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأولى﴾ الأحزاب : ٣٣ قال مجاهد . كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فتلك تبرج الجاهلية .

وقال مقاتل : والتبرج أنها تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها .

قال المؤلف : ومن اتصفت من النساء بهذا الوصف المذكور فهو مصداق هذه الآية من كن وحيث كن من المسلمات وغيرهن .

واعلمي ياأختي ! أن العلماء قالوا : الحجاب للمرأة المسلمة شعار الاسلام ، ولباس التقوى ، وسياج الإجلال والاحترام ، وبرهان الحياء والاحتشام .

والحجاب الشرعي يحفظ النساء من أذى الفساق .

والحجاب الشرعي يصون فتياتنا من أنظار الذئاب البشرية المسعورة التي لا هم لها إلا اصطياد الغافلات المؤمنات والنظر إليهن نظر اغراء ومهاترة .

والحجاب الشرعي يجعل أخواتنا في حصن الحشمة والوقار عند خروجهن لقضاء بعض حاجاتهن .

وأما السفور فعاقبته وخيمة وآلامه جسيمة وأخطاره عظيمة ومخازيه كثيرة ومساويه معلومة ، وهو تقليد أعمى للكفار والمغاربة .

لقد عرف المسلمون المتمسكون بدينهم من هذه الآيات أى : ﴿وَلْيَضْرِبنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ النور : ٣١ ، و ﴿وَقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ الأحزاب : ٣٣ و ﴿يُدْنِيْنَ عَلَيهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ الأحزاب : ٥٩ أن الحجاب فرض على نساء المؤمنين وأنه فرض أكيداً وأنه أوصى كل واحدة أن تستر جسمها سترا تاما .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا يمنع المرأة المسلمة إذا كان لها حاجة أن تخرج في أطمارها أو أطمار جارتها مستخفية لا يعلم بها أحد حتى ترجع إلى بيتها» .

وهذه السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تغطي جسدها بشدة في إحاطة البيت حياء من عمر لأنه مدفون في بيتها رضي الله عنهما .

كما في رواية لأحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﴿ﷺ﴾ وإني واضع ثوبي وأقول : إنما هو زوجي وأبي ، (أى مدفونان فيه) ، فلما دفن عمر معهم فوالله مادخلته إلا وأنا مشددة عليَّ ثيابي ، حياءً من عمر» . كما في المشكاة باب زيارة القبور .

فانظري أيتها الأخت ! إلى البنت المسلمة في الوقت الحاضر

كيف يجذبها سيل السفور وعدم الحياء إليه مثل القاذورة ؟ أين حياء وحجاب والدتها وأين حياء وحجاب هذه البنت العصرية ؟

وما أحسن قول القائل باللغة الأردية وترجمته : كيف تتولد وتنبعث رائحة أسوة الوالدين الصالحين من الطفل الذي يشرب اللبن الجاهز من العلب ويتعلم العلم الظاهري الحكومي الرائج ولا يتعلم العلم الدين الاسلامي الفائق .

استمعي ياأختي إلى خطبة الصحابية الجليلة أسماء بنت زيد ابن السكن الأنصارية ، تصور لنا بها حالة المرأة المسلمة في العهد الإسلامي ، وما هي عليه من عفة وصيانة وابتعاد عن مواطن التهم والشبهة والاختلاط تقول هذه المرأة لرسول الله ﴿ﷺ﴾ :

«يارسول الله ! إني رسول من ورايي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي ، إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يارسول الله ؟! فالتفت رسول الله ﴿ﷺ﴾ بوجهه إلى أصحابه فقال : سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه ؟ فقالوا : بلى والله يارسول الله !

فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : انصرفي ياأسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته يعدل كل ماذكرت للرجال ، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﴿ﷺ﴾ . رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب .

وقد عين ﴿ﷺ﴾ يوما خاصا للنساء يعلّمهن فيه مع شرف المكان وطهارة النفوس وشرف القصد وهو العلم والإرشاد ، فهل تبقى بعد ذلك كلمة لدعاة السوء دعاة الاختلاط وهم أبواب الفتنة ومصادر البلاء في المجتمع ومن حيلهم الخبيثة ومكرهم السيء دعوتهم للاختلاط في المدارس الابتدائية بين الصغار بدعوى أنهم صغار لايفهمون شيئا ، وبدعوتهم للاختلاط بين الرجال والنساء في مقاعد التعليم في الجوامع والكليات والتوظيف في الشعب الحكومية ليعملن مع الرجال سواء بسواء من غير حجاب ، بدعوى أن يضبط كل واحد منهما على نفسه ، فإذا وجد الضبط والصبر فلا مانع من مخالطة النساء مع الرجال إذاً ، وهم إنما أرادوا بهذا التمهيد لبناء جيل ميت القلب ، فاقد الرجولة والغيرة وليجد في نفسه أخلاق الخنازير وطبائع البهائم الممقوتة وصدق الله العظيم : ﴿أولئك كالأنعام بل هُم أضَلُّ أولئك هُمُ الغافِلُونَ﴾ الأعراف : ١٧٩ .

وقال : ﴿إن هُمْ إلا كالأنعامِ بلْ هُمْ أضلُّ سبيلًا﴾ الفرقان : ٤٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : خير صفوف الرجال أوّلها وشرُّها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرُّها أولها» رواه أبو داود في سننه باب صف النساء والتأخر عن الصف الأول .

اسمعي ياأختي العزيزة ! إذا كان ابتعاد الرجال من النساء وابتعاد النساء من الرجال محموداً ومحبوباً في صفوف الصلاة مع أن الصلاة تمنع الإنسان عن التوجه إلى المعاصي وتكفه عن النظر السيئ ، فكيف لا يكون هذا الابتعاد محمودا في غير الصلاة ؟ وكيف لا يكون الاختلاط بين الرجال والنساء مذموماً ومكروها.

وإنا نرى النساء في الأسواق خائضات في جموع الرجال وجالساتٍ على مقاعد التعليم في الجوامع والكليات من غير حجاب . وإنهن يطلبن التوظيف في الشعب الحكومية ليعملن مع الرجال سواء بسواء وهذا ليس من الإسلام في شيء .

وقد أشاع أهل أوروبا أعداء الدين الإسلامي أن النساء مساويات للرجال في كل شيء ، وهذا جهل منهم ، وإنما قالوا ذلك لحظوظ أنفسهم وجعلوا المرأة لعبة ، والمرأة التي لا علم لها بمصلحتها تظن لسفاهتها أنهم صعدوها مدارج الكمال مع أنهم أنزلوها عن رتبة الإنسانية وجعلوها كالبهيمة يستمتع بها في الأسواق والطرق أعاذنا الله تعالى من ذلك .

وحكى لنا أحد شيوخنا قصة في أثناء محاضرته التي ألقاها على عامة الناس حيث قال : كنا في سفر مع الرفقاء بالقطار ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض اللون وشديد بياض القميص والقلادة والبنطلون ، وجلس أمام مقعدي ، وكنت في مطالعة كتابي وهو ينظر إليَّ مرة بعد أخرى ، فإذا ألقيت عليه النظر كأنه منتظر نظري فقال لي : أيها الشيخ ! أظن أنك من أهل العلم والدين ، أريد سؤالك فهل تسمح لي أن أسأل ؟ قلت : أبشر ولا تخف ، فقال هل صحيح أن الإسلام لم يسمح أن تخالط النساء الرجال في التعليم والوظائف بدون حجاب ؟ قلت : نعم ، قال : لماذا ؟ قلت : لأنه ممنوع في الإسلام وبيَّنت له النصوص الشرعية في هذا الباب حتى طال القيل والقال ، ثم قال لي في الأخير : على الإنسان ضبط نفسه فإذا وجد الضبط والصبر فلا مانع من مخالطة النساء مع الرجال إذاً ، ومازال يكرر

هـذه الكلمة - أي الضبط - مرة بعد أخرى ، فقلت في نفسي : هذا من الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿لَا تَعمَىٰ الأَبصَارُ ولَكِنْ تَعمَى القُلوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج : ٤٦ ، فلا يستقيم بالنصوص الشرعية أبداً فاخترت طريقة أخرى وأخرجت الليمون الذي كان في زنبيلي معي والسكين وقطعته قطعتين أو ثلاثة فقلت له : عليك بالصدق ولا تقل إلا الحق ، هل حصل الماء في فيك من عمل عملته أمامك ؟ قال : نعم ، قلت : أين الضبط على نفسك والصبر وتكرره مراراً ؟ الليمون في يدي والسكين[٨] وقطعته بنفسي فلماذا الماء في فيك ؟ قال : لا بد من حصول الماء في الفم حينما ينظر أحد إلى شيء حامض وهو يقطع أمامه فقلت : هكذا إذا كانت العيون أربعا ويكون السمن أمام الشمس فلا بد من ذوبانه ، ولا بد من الفساد في العالم ، لأن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم . ﴿فَبُهِتَ الَّذي كَفرَ واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظَّالِمينَ﴾ البقرة : ٢٥٨ .

اعلمي ياأختي ! أن الحجاب ليس سقماً للمرأة ولا سجنا إنما هو زينة لها يكسبها حشمة ووقاراً ، فإن كان في الحجاب تأخر للمرأة فإنه تأخر محمود لأنه تأخر عن حضارة الجاهلين وفتنة الضالين .

وصدق شاعر المشرق العلامة محمد إقبال الباكستاني في اللغة الأردية بالنسبة للحضارة الحديثة الخبيثة وأهلها وهذا ترجمته :

قال : أن بيض هذه الحضارة الحديثة الخبيثة - أراد به أهلها - قذرة ووسخة ومنتنة ، خذوهم وامسكوهم أيها الناس ! وارموهم في الشوارع أو في براميل القمامة . اهـ .

أراد بذلك أنه لا يستفاد من هؤلاء إلا الضلالة والذلة والهوان .

وقال الشاعر الهندي «أكبر إله آبادي» في الحضارة الحديثة ماترجمته :

ليس في اختيار الحضارة الحديثة والعمل بأوامرها تعب ومشقة شديدة ، بل تبقى الأديان والمذاهب على حالها لمن أختارها ولا يخرج من قلوبهم إلا الإيمان واليقين . اهـ .

معناه : أن أهل الحضارة الحديثة يقولون بألسنتهم : نحن مسلمون ، ولكن الإيمان قد خرج من قلوبهم وهم لا يعرفون ، وصاروا كما قال تعالى : ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الفتح : ١١ .

ثم قال في البيت الثاني ماترجمته : بقيت العقارب والحيات والدود في شكل الإنسان التي تلدغ الآخر ، ولا تجد شيئا من الإنسانية في هذه الحضارة الحديثة وأهلها . اهـ .

وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوما بين أصحابه : «ماخير للنساء ؟» فلم يُدْر مايقال ، فذهب علي رضي الله عنه إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت : فهلا قلت له : «خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يروهن» ، فرجع علي فأخبر الرسول ﴿ﷺ﴾ بذلك فقال له : «من علمك هذا ؟» قال : «فاطمة» قال : «إنها بضعة مني !!» أى جزء منه ﴿ﷺ﴾ معارف القرآن ٧ /٢١٦ .

وقد جاء في الحديث : «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» رواه الطبراني عن معقب ابن يسار وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

وفي حديث آخر : لأن يزاحم الرجل خنزيراً متلطخا بطين

أو حمأة خير له من أن يزاحم منكبه منكب امرأة لا تحل له .

فكري ياأختي فيما تخبر عنه سيدتك الزهراء بأن الخير للنساء في أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال ، فأي حياء أعظم من هذا الحياء ، ولا خير للنساء إلا أن يبعدن عن ساحة الرجال ، وأن يبعد الرجال عن ساحتهن .

قال الإمام الذهبي في الكبائر ص ١٧٦ : وأعظم ماتكون المرأة من الله ماكانت في بيتها ، وفي الحديث أيضا : المرأة عورة ، فاحبسوها في البيوت ، فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها: أين تريدين ؟ قالت : أعود مريضاً ، أشيع جنازة ، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها .

وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها ، وتعبد ربها ، وتطيع بعلها .

وقال علي رضي الله عنه لزوجته فاطمة رضي الله عنها : يافاطمة ماخير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يروها .

وكان علي رضي الله عنه يقول : ألا تستحون ، ألا تغارون ؟ يترك أحدكم إمرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها !.

وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما يوما عند النبي ﴿ﷺ﴾ جالستين ، فدخل ابن أم مكتوم ، وكان أعمى ، فقال النبي ﴿ﷺ﴾ احتجبا منه ، فقالتا : يارسول الله ! أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﴿ﷺ﴾ : أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه» رواه أبوداود والنسائي والترمذي . اهـ من الكبائر للذهبي ص١٧٧ .

سمعنا أن بعض الأخوات تقول : أن الحجاب هو الحجاب الباطن فإذا كان الحجاب في الباطن - أى في القلب - فلا حاجة إلى الحجاب الظاهري .

نقول لهؤلاء الأخوات : إن الصديد إذا يخرج ويسيل من داخل البشرة ، كيف نقول أن باطن البشرة هو سليم وصحيح ؟ ولا فساد في داخلها ؟ كذلك إذا صدر الذنب من أحد أو النظر إلى الأجانب من الرجال والنساء مع أنه سبحانه وتعالى قال : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ النور : ٣٠ . وقال : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ النور : ٣١ فيعرف من ذلك أن باطنه فاسد وإلا فلا يرتكب المعصية ولا يتعدى حدود الله سبحانه .

وفي الحديث : العينان تزنيان وزناهما النظر ، ولا شك فيه لأن أهل الفراسة الصادقة يشاهدون هذه الآثار - أي آثار الزنا - بين عيني الناظر وإن خفيت على غيرهم .

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يحكي قصته ، يقول : دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكنت قد رأيت إمرأة في الطريق ومن غير قصد ، فقال عثمان : يدخل أحدكم وآثار الزنا بين عينيه ، فقلت : أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . ولكن فراسة صادقة .

قال الراقم : وهو رضي الله عنه بريء من هذه الفرية كبراءة الشمس من اللمس ، وكبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ، لأنه يقول : «رأيت امرأة (أجنبية) في الطريق ومن غير قصد» وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب ، ولا فائدة له في بيان هذه القصة التي تظهر من بيانها العيب لنفسه ؟ فإذا كان هذا حال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رأى امرأة أجنبية ومن غير قصد ، فما بالك أيتها الأخت ! في اللاتي

يحبن الاختلاط بين الرجال والنساء في مقاعد التعليم في الجوامع والكليات والتوظيف في الشعب الحكومية ليعملن مع الرجال سواء بسواء من غير حجاب ؟ أتعمى أبصار الرجال والنساء عند الاختلاط والعمل فيما بينهم ؟ والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وذكر الذهبي رحمه الله في الكبائر ص ١٧٧ : فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء ، فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال ، كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها : إن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها .

فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه ، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة في ثياب بيتها ، وتغض طرفها في مشيتها ، وتنظر إلى الأرض لا يمينا ولا شمالا ، فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت عاصية .

وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا ، وكانت تخرج من بيتها متبرجة ، فماتت فرآها بعض أهلها في المنام ، وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رقاق ، فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها ، وقال : خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا وفاطمة رضي الله عنها ، ووجدناه يبكي بكاء شديداً ، فقلت له : فداك أبي وأمي يارسول الله ! ما الذي أبكاك ؟ قال : ياعلي ليلة أسري بي إلى السماء ، رأيت نساء من أمتي يعذبن

بأنواع العذاب ، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بثدييها ، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير ، وبدنها بدن حمار ، عليها ألف ألف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب ، والنار تدخل من فيها ، وتخرج من دبرها ، والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار .

فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت : حبيبي وقرة عيني ! ماكان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يابنية ! أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال ، وأما التي كانت معلقة بلسانها ، فإنها كانت تؤذي زوجها ، وأما المعلقة بثدييها ، فإنها كانت تفسد فراش زوجها ، وأما التي تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب ، فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزيء بالصلاة .

وأما التي رأسها رأس خنزير ، وبدنها بدن حمار ، فإنها كانت نمامة كذابة .

وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة . انتهى ماذكره الذهبي في الكبائر .

اذكري أيتها الجوهرة المكنونة ! ماعليه أخواتك اليوم من الرغبة والشهوة الملحّة في النظر إلى الأجانب ، والحديث معهم ، والاتصال بهم ، والإختلاط معهم في مقاعد التعليم في الجوامع والكليات ، والإختلاط معهم في الوظائف في الشعب الحكومية

وغيرها ، والإختلاط معهم في الشوارع والأسواق والمساجد وعلى شاشة التلفزيون والفيديو ، وتزاحم المنكب بالمنكب ، بل اليد في اليد عند التحية ، وفي ...... وفي ...... ولهذا ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس .

هذا ما نسمع ونراه في حياة المسلمين اليوم إلا ما شاء الله ، وأذكر الآن حكم شريعتنا الغراء وآدابها ، فانظري الفرق بين هذا وذاك ياأختاه ! .

وقد ذكر الجزري في النهاية نهى رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن يخضع الرجل لغير امرأته أن يلين لها بالقول بما يطمعها منه .

وذكر أيضا في النهاية : أن رجلا مرَّ في زمان عمر رضي الله عنه برجل وامرأة قد خضعا بينهما حديثا فضربه حتى شجه فأهدره عمر رضي الله عنه .

قوله : «خضعا» أى ليّنا بينهما الحديث وتكلما بما يطمع كلا منهما من الآخر . اهـ .

وقال ابن تيمية في الفتاوى ٢٨ /٣٧٠ : وكذلك الشر والمعصية : ينبغي حسم مادته ، وسد ذريعته ، ودفع ما يفضي إليه ، إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة .

مثال ذلك ما نهى عنه النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : «لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان» .

وقال : «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يومين إلا ومعها زوج أو ذو محرم» ، فنهى صلى الله عليه وسلم عن الخلوة بالأجنبية ، والسفر بها ، لأنه ذريعة للشر .

وروى عن الشعبي : أن وفد عبدالقيس لما قدموا على النبي ﴿ﷺ﴾ ، كان فيهم غلام ظاهر الوضاءة ، فأجلسه خلف ظهره وقال : «إنما كانت خطيئة داود النظر» .

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان يعُسُّ بالمدينة ، فسمع امرأة تتغني بأبيات تقول فيها :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها

هل من سبيل إلى نصر بن حجاج

فدعى به ، فوجده شاباً حسناً ، فحلق رأسه فازداد جمالا ، فنفاه إلى البصرة ، لئلا تفتتن به النساء .

وروى عنه : أنه بلغه أن رجلا يجلس إليه الصبيان فنهى عن مجالسته . انتهى ماذكره ابن تيمية في الفتاوى ٢٨ / ٣٧٠ .

وروى الطبراني بسند حسن عن عمرو بن العاص أن النبي ﴿ﷺ﴾ نهى أن يتكلم النساء إلا بإذن أزواجهن .

وروى الدارقطني في الأفراد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﴿ﷺ﴾ نهى أن يتمطى الرجل في الصلاة أو عند النساء إلا عند امرأته أو جواريه : كما في التفسير المظهري ٧ /٣٣٧-٣٣٨

هذه آداب شريعتنا الغراء ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها نساء الأمة جميعا ومرجع هذه الآداب هو قوله سبحانه :

﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢﴾

الأحزاب : ٣٢

قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى : ﴿فلا تَخْضَعن بالقول﴾ : يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال ، ولهذا قال الله تعالى ﴿فيَطمَعَ الَّذي في قلبه مرضٌ﴾ أى دغل ، ﴿وقُلنَ قولًا معروفاً﴾ قال ابن زيد : قولا حسنا جميلا معروفا في الخير ، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أى لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها اهـ .

فإن المؤمن الكامل هو الذي مطمئن بالإيمان ، ويرى برهان ربه لا يطمع فيما حرمه الله ، والذي إيمانه ضعيف كان فيه شائبة النفاق يشتهي إلى ماحرَّم الله عليه .

وقال العلماء : المرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الإطماع .

وتقول العرب : «لا يحفظ المرأة إلا بيتها أو قبرها أو زوجها» ونعم ماقالوا .

ومثال ذلك في قصة ذكرها الهيثم بن عدي حيث قال : قدمتْ امرأة مكة ، وكانت من أجمل النساء ، فنظر إليها عمرُ بن ربيعة ، فوقَعَتْ في قلبه – أى أعجبته – فكلمها فلم تجبه ، فلما كان في الليلة الثانية تعرَّض ، فقالت : إليكَ عني – أى ابتعد – ! فإنك في حرم الله ؟! وفي أيام عظيمة الحرمة ؟! فألحَّ عليها ، فخافت الشُّهرة فقالت لأخيها في الليلة الثالثة : اخْرُج معي فأرني المناسك ، فتعرض لها عمر ، فلما رأى أخاها معها أعرض عنهما ! فتمثلت بقول الشاعر :

تعْدو الذئاب على من لا كِلاب لــه
وتتَّقي صَوْلَةَ المستأصِدِ الضّاري

تُرى ما أثر هذا الخبر في نفسك ؟! لقد سمعه أبو جعفر المنصور فقال : وددت أنه لم يبق فتاة من قريش إلا سمعت بهذا الخبر .

فانظري أيتها الأخت ! ماذا تيسر لك من هذه الأشياء الثلاثة؟ إذا كان لك زوج فاسأليه هل هو يحفظك من الحضارة الحديثة الخبيثة ومن الإقتداء بأعداء الدين في جميع شئون حياتك كما هو شعار الأنبياء والصالحين ؟.

وأسألي كذلك من أبويك هل هما يحفظانك من اقتداء اليهود والنصارى أو يلقيانك في هذه التهلكة ؟ كما هم يتمنون أن تكون ابنتهم في التقدم الحديث والرقي ، كلكن تسألنهم ماذا يجيب هؤلاء المسئولون على صيانتك وطهارتك وحفظانك من الأثر السيئ؟ وإلا فيحفظك ويصونك أو يخلط أضلاعك قبرك غدا أو اليوم فانتظري قليلا .

قال الشاعر الهندي «أكبر إلٰه آبادي» في مثل هؤلاء الذين يتمنون أن تكون ابنتهم في التقدم الحديث والرقي ، ويمنعونها عن الحجاب والتستر أمام الأجانب فيقول :

ساءهم أن يروا ابنتهم محتجبة مصونة نظرا إلى التقدم الحديث فشجعوها على نزع الحجاب والجري في مستنقع التقدم ، فلما نزعت جلباب الحياء ، تركت المنزل وذهبت مع رجل خبيث ، وتركت أهلها محزونين ، ولم تعد حتى الآن .

وصدق الله العظيم : ﴿الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلخَبِيثَاتِ﴾ النور : ٢٦ .

وصدق رسوله الكريم ﷺ : «إذا لم تستح فاصنع ماشئت» .

اللهم احفظ بناتنا من هذا التقدم الذي سبب الذلة والهون للوالدين والأقربين ولديننا المبين آمين .

ويصيح الشاعر «أكبر» صيحة ويقول في أبياته الشعرية ماترجمته :

يقول : عندما بدأت لي – أى لأكبر – بعض بنات المسلمين كاسيات عاريات وبدون الحجاب والتستر ، كاد أن يلج «أكبر» في الأرض ويدس نفسه في التراب من غيرة دينية وحمية ملية .

فسألت يابناتي المسلمات : أين الحجاب والتستر الذي أنزله الله من فوق سبع سموات لصيانتكن من أنظار الذئاب البشرية ؟ فأجابت البنات في الفور وقلن : وقع الحجاب والتستر على عقول الرجال من آبائنا وأزواجنا وإخواننا ياأكبر ! بدل ما يقع الحجاب على وجوهنا وجيوبنا وزينتنا .

ويصف لنا هؤلاء ويقولون : إن الحجاب ظلم وسجن وسقم ، وتأخر للمرأة فاتركنه ، فتركناه امتثالا بأمر المسئولين ، وليس لنا فيه من الذنب ، لو يأمرنا الرجال بالحجاب كيف نجترئ على الخروج سافرات عاريات ؟

فياأسفى على هؤلاء المسئولين المسلمين من العرب والعجم ! أين ذهبت عقولهم ؟ وأين دفنت قوّة إيمان هؤلاء الذين يتمنون ويدعون لأنفسهم ولذرياتهم وأزواجهم للرقي والتقدم الدنيوي الذي لا تقر به العيون كما كان حقها ؟ ولا يدعون لهم ولا لأنفسهم للرقي والتقدم الأخروي الذي تقر به العيون كما كان حقها وكما هو من صفات عباد الله المخلصين بقولهم :

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾
الفرقان : ٧٤

ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية ٣٣١ /٣ : وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال : أن يرى الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميمه طاعة الله ، لا والله ! لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدا أو ولد ولد أو أخا أو حميما مطيعا لله عزوجل .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعنون من يعمل بطاعة فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة .

وقال عكرمة : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين .

وقوله تعالى : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ أى هداة مهتدين دعاة إلى الخير ، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم ، وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابا ، وأحسن مآباً :

ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به من بعده ، أو صدقة جارية» انتهى ماذكره ابن كثير رحمه الله .

أختي العزيزة ! هل نجد صفة الصالحين هذه في آبائنا وأزواجنا اليوم ، وهل يسأل هؤلاء أنفسهم ويقولون هل تركنا أولادنا وذرياتنا صالحين الذين يدعون لنا بعد الموت حينما ينقطع عمل العاملين لينتفعوا بدعوتهم لهم .

أما قولك أيتها الأخت : كيف نجترئ على الخروج بدون حجاب سافرات عاريات لو يمنعنا الرجال من آبائنا وأزواجنا وإخواننا ؟ هذا ليس بسديد بعدما صرت عاقلة وبالغة ، ولا يفيدك أبوك ولا زوجك ولا أخوك يوم القيامة شيئا والذي تتجولين بأمره في الشوارع سافرة ، وتخالفين أمر الله ورسوله ﴿ﷺ﴾ ، ستسألين عن أعمالك تلك في ذلك اليوم ، وهذا الجواب لا يفيدك يوم تجد كل نفس ماعملت حاضرا ، ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزرَ أُخْرَى﴾ . ﴿وأن لَيسَ لِلإنسانِ إِلَّا مَاسَعَىٰ﴾ النجم ٣٨-٣٩.

ألا ترين ! أن في الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى

كل من أولى العزم أن يشفع عندالله في الخلائق يقول : نفسي نفسي ، لا أسألك اليوم إلا نفسي هذا هو حال أولى العزم من الأنبياء ، فكيف بك يأمة الله وبأبيك وأخيك وزوجك الذي أضلك عن سبيل الله .

تفكري ياأختي ؟ يحذر الله عباده من خزي ذاك اليوم بقوله : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾

عبس : ٣٤-٣٧

قال ابن كثير في تفسيره ٤٧٤/٤ : أي يراهم ويفر منهم ويتبعد منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل .

قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته فيقول لها : ياهذه ! أي بعل كنت لك ؟ فتقول نعم البعل كنت ، وتثني بخير ما استطاعت ، فيقول لها : فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبينها لي لعلي أنجو مما ترين ، فتقول له : ماأيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا ، أتخوف مثل الذي تخاف .

قال : وإن الرجل ليلقي ابنه فيتعلق به فيقول : يابني ! أي والد كنت لك ؟ فيثنى بخير ، فيقول له : يابني ! إني أحتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى ، فيقول ولده : ياأبت ماأيسر ماطلبت ، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف فلا استطيع أن أعطيك شيئا . انتهى ماذكره ابن كثير رحمه الله .

فعليك أيتها الأخت ! أن تتخذي السيدة آسية امرأة فرعون أسوة لك عندما يأمرك أبوك أو أخوك أو زوجك بمعصية الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه .

انظري إلى قوة إيمانها بالله وعزمها الأكيد أمام قوى الجبروت

والطغيان الذي وتد لها الأوتاد في يديها ورجليها فتحملتها وفدت بنفسها في سبيل الله من ظلم بعلها ، ولكن مارضيت بمعصية الله بقول زوجها الملك الظالم الذي كان يقول في نفسه ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ النازعات : ٢٤ ، فخلد الله ذكرها في القرآن ، وضرب الله بها مثلا للذين آمنوا قائلا :

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ التحريم : ١١

وذكر السيوطي في الدر المنثور ٦ /٢٤٥ في تفسيره : أخرج أبو يعلى والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فرعون وتد لأمرأته أربعة أوتادٍ في يديها ورجليها ، فكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة عليهم السلام ، فقالت : ربِّ ابن لي عندك بيتا في الجنة ، فكشف لها عن بيتها في الجنة .

وأخرج عبد بن حميد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فرعون وتد لأمرأته أربعة أوتاد ، وأضجعها على صدرها وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس ، فرفعت رأسها إلى السماء فقالت : رب ابن لي عندك بيتا في الجنة - إلى قوله - ظالمين ، ففرَّج الله عن بيتها في الجنة فرأته . نفس المرجع .

أختي المسلمة ! اجعلي حياة السيدة آسية قدوة لك ، واتركي العصيان وارجعي إلى ربك طوعا أو كرها ، وتأملي كيف تحملت عذاب زوجها الملك الظالم فرأت في حياتها بيتها في الجنة وورثتها رضي الله عنها .

الحذر الحذر من تشبه الرجال يا بنات حواء!

ذكر الإمام الذهبي في الكبائر ص : ١٣٤ : وقال :

في الصحيح أن رسول الله ﴿ﷺ﴾قال : لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء .

رواه البخاري وأبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عباس .

وفي رواية : لعن الله الرجلة من النساء . قال المصنف في رسالته الصغرى إسناده حسن كما في الكبائر للذهبي ص ١٣٤ .

وفي رواية قال : لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء يعنى اللاتي يتشبهن بالرجال في لبسهم وحديثهم . عزاها في الترغيب والترهيب للبخاري من حديث ابن عباس كما في الكبائر ص١٣٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة . رواه أبوداود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : على شرط مسلم (ترغيب) كما في الكبائر نفس المرجع المذكور .

فإذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة ، فقد شابهت الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله - ﴿ﷺ﴾ - ولزوجها إذا أمكنها من ذلك ، أى رضي به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ، ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى : ﴿قُوا أنفُسَكُم وأهليكُمْ ناراً وَقودُها النَّاسُ والحجارة﴾ التحريم : ٦ أى أدبوهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله

كما يجب ذلك عليكم في حق أنفسكم . ولقول النبي ﴿ﷺ﴾ : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الرجل راع في أهله ومسئول عنهم يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر كما في الكبائر للذهبي .

وجاء عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : «ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء» أخرجه مسلم وغيره كما في الكبائر للذهبي ص ١٣٤ .

وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوي إلا أكبه الله تعالى في النار .

وقال ﴿ﷺ﴾ : «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . أخرجه مسلم .

قال الذهبي : قوله : «كاسيات» أى من نعم الله عاريات من شكرها ، وقيل : هو أن تلبس المرأة ثوبا رقيقاً يصف لون بدنها .

ومعنى مائلات : قيل عن طاعة الله وما يلزمن حفظه ، مميلات: أي يعلمن غيرهن الفعل المذموم ، وقيل : مائلات متبخترات مميلات لأكتافهن ، وقيل : مائلات : يمتشطن المشطة الميلاء ، وهي مشطة البغايا ، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة . رؤوسهن كأسنمة البخت : أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوها . قاله الذهبي رحمه الله .

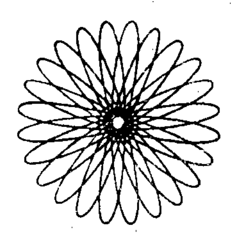
وعن نافع قال : كان ابن عمر وعبدالله بن عمرو عند الزبير بن عبدالمطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً ، فقال عبدالله ابن عمر : أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة ، فالتفت إلى ابن عمرو فقال : «إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﴿ﷺ﴾ المتشبهات

من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء .

ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب ، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ، ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام ، وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت ، وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ، ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة ، وهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء .

قال عنهن النبي ﴿ﷺ﴾ اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء . وقال ﴿ﷺ﴾ : ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء .

فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحن وإيانا بمنه وكرمه . انتهى ما ذكره الذهبي في الكبائر ص ١٣٤ - ١٣٥ .



الرزق الحلال هو سيد العبادات فاختريه لنفسك يا أختاه!

أختي الفاضلة : اهتمي بالرزق الحلال ، لأن له تدخلا شديدا في تربية الأولاد ، والرزق الحلال هو سيد العبادات ، والجسد الذي تربى برزق حلال يكون محفوظا من نار الجحيم التي وقودها الناس والحجارة . لو يأخذ أبوك أو زوجك أو ابنك الرشوة أو الربا انصحى لهم وامنعيهم عن ذلك وعن المال الحرام من أي مكسب كان إذا رأيت وقولي لهم : يازوجاه ! ويا أبتاه ! نعيش على خبز قفز وجاف ، ولا نأكل المال الخبيث لأن الخبيث للخبيث والطيب للطيب .

وذلك شعار الزوجة الصالحة المؤمنة التي تعين على إيمان زوجها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر ، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه كما في المشكاة باب ذكر الله عزوجل الخ .

قوله : «تعينه على إيمانه» أى على دينه بأن تذكّره الصلاة والصوم ، وغيرها من العبادات ، وتمنعه من الزنا وسائر المحرمات . كما ذكره في المرقاة شرح المشكاة .

ونحن نقص عليك قصة إحدىٰ أخواتك المؤمنات السابقات كانت من أهل المدينة النبوية على عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإن في ذلك عبرة لك وعظة فبهديها اقتدي وهي :

كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَعُسُّ ذات ليلة أطراف

المدينة ، ليتعرَّف أخبار الناس ، ويتفقد أحوال الرعية ، أصابه التعبُ ، فاستند إلى جدار ، فإذا به يسمعُ صوتَ امرأة من خلفِ الجدار تقول لفتاةٍ لها : قومي إلى اللبن فامذُقيه .

فقالت الفتاة : أوَ ما علمتِ ياأمَّاهُ ! بأن أمير المؤمنين قد أمرَ بألَّا يشابُ اللبن بالماء ؟

فقالت المرأة : قُومي فامذُقي اللبن ، فإن عمرَ لا يرانا .

فردَّت الفتاة : والله ماكنت لأطيعَ أمير المؤمنين في الملأ وأعصيه بالخلاء ، فإن كان عمرُ لا يرانا فإنَّ ربَّ عُمر يرانا .

سُرَّ عمر رضي الله عنه بهذا الحوار ، وأعجب بكلام الفتاة ، فسأل عنها حتى عرفها ، ووَدَّ لو أنه اتَّخذها زوجة لنفسه ، غير أنه قد كبرت سِنُّه ، ولم تَعُد له رغبةٌ في الزواج ، فجمع أولاده وقال لهم : هل فيكم من يحتاج إلى زوجة فأزوجه ؟ فقال له ولده عاصم : يا أبتِ ! أنا لا زوجة لي فزوجني ، فقال له أبوه اذهب فاخطبها وتزوجها ، وكان من أحفادها الخليفة العادلُ عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، الذي اشتهر بعدله وورعه وتقواه .

واعلمي ياأختي المسلمة ! أن الله أمر عباده أن يأكلوا من الرزق الحلال وأن يشكروه على ذلك إن كانوا عبيده ، والأكل من الحلال سبب لقبول الدعاء والعبادة ، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «أيها الناس ! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال :

﴿ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾ المؤمنون : ٥١

وقال : ﴿يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رزقْنَاكُم﴾ البقرة : ١٧٢
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب ! يارب ! ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنىٰ يستجاب لذلك» . رواه مسلم كما في المشكاة باب الكسب وطلب الحلال .

وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «لا يدخل الجنة لحم نبت من السُّحتِ - أى الحرام - ، وكل لحم نبت من السحت كانت النار أولى به» رواه أحمد والدارمي والبيهقي في شعب الإيمان كما في المشكاة باب الكسب وطلب الحلال .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : « لا يدخل الجنة جسد غذِي بالحرام» رواه البيهقي في الشعب نفس المرجع المذكور .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام ، لم يقبل الله تعالى له صلاة مادام عليه ، ثم أدخل إصبعيه في أذنيه قال : صمّتا إن لم يكن من النبيَ ﴿ﷺ﴾ سمعته يقوله» رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان وقال إسناده ضعيف .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه ، أمن الحلال أو من الحرام» رواه البخاري كما في المشكاة نفس المرجع .

في هذا الزمن الذي أنبأ عنه النبي ﴿ﷺ﴾ ، لا يبالى الأب ولا الابن ولا الزوج - إلا ماشاء الله - أمِن الحلال يأخذ أو من الحرام ، مثله كمثل رجل رأى الثعبان في ليلة مظلمة فأخذه وهو يحسب أنه الحبل فإذا هو ثعبان ، فلدغه فدخل السم منه إلى جسده فمات في حينه ، هكذا آكل الحرام إذا أكله يدخل سم الحرام في جسده فيموت ، أي يموت قلبه فيصير هذا الرجل

ميت في الأحياء ويصير جسمه قبل القبر قبرا ، فإذا مات القلب فلا دواء له ولا شفاء إلا أن يتوب ويستغفر ربه ، والقلب قرية إذا تخرب لا إنشاء لها ولا تعمير لها إلا أن يشاء الله .

اعلمي ياأختى العزيزة : أن الزوج أحيانا يضطر إلى كسب الحرام بسبب كثرة طلبات الزوجة ، ولذا قللي طلباتك ياأختي! ! لأن هذه الحياة فانية وذاهبة اليوم أو غدا ، والحياة الحقيقية والطويلة هي حياة الآخرة كما قال النبي ﴿ﷺ﴾ :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة
فاغفر الأنصار والمهاجرة

ستمضي وتنتهى هذه الحياة هكذا أو هكذا – أى بالعسر أو باليسر – فعليك أن تفكري كيف تعيشين في الحياة الآخرة أبالعسر أم باليسر .

ولو يعرض زوجك عن الحق وكسب الحلال خائفاً من الأفلاس فيكسب الحرام ولا يرجع عن كسبه فعليه أن يسمع قولنا هذا :

أيها الزوج للأمَة المسلمة المؤمنة ! تعرض عن الحق وكسب الحلال خوفاً من الإفلاس ، عندما أتفكر فيه فيهتز قلبي بهذا التفكر والإحساس ، أمَا تدري أن الكلب يأخذ رزقه ويأكل كل يوم وليلة في هذا الدهر ولا يبيت جائعا .

وإن خوفك من الإفلاس لا مكان له ، إن كنت مؤمناً حقاً فإن الرزق مكفول ولا تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، وجميع مخلوقات الله رزقها مكفول ، ألم تر أن الطير تخرج خماصاً وتروح بطاناً – شباعا – لكن إن لم تتحر الرزق الحلال الذي كتبه الله لك ورضيه لك ، فإنه يساق إليك بطريق غير مشروع وغير حلال بسبب اختيارك للحرام .

وهذا ربك وربي ورب كل شيء يخبر بأنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها بحريها وبريها كلبا كان أو خنزيرا ، فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ هود : ٦

أوصيك ياأخي ! اختر لنفسك ما أختار المرسلون – عليهم الصلاة والسلام – والمؤمنون الذين أرشدهم الله تعالى إليه بقوله :

﴿يَاأَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ المؤمنون : ٥١

و ﴿يَاأَيُّها الَّذين آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّباتِ مَا رزقْناكُم﴾البقرة : ١٧٢

ولا تكن مثل الكلب الذي إذا ترمي إليه شيئا من الرزق الحلال فيأخذه ويأكل ، وإذا ترمي إليه شيئا من الرزق الحرام فيأخذه ويأكل ، ولا يعلم الفرق بين هذا وذاك ، فإذا لم تنته عن أكل الحرام وأنت مسلم فنقول لك ماقال الله تعالى : ﴿بئسَمَا يَأمُرُكُمْ بِهِ إيمَانُكُمْ إنْ كُنتُمْ مُؤمِنينَ﴾ البقرة : ٩٣ .

وقال تعالى : ﴿إنَّ شرَّ الدوابِّ عندالله الصمُّ البكمُ الَّذينَ لا يعقلون﴾ الأنفال : ٢٢ . ففكّر من هو شرَّ الدواب في نظرك ؟

وذكر الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه الكبائر ص ١١٨ :

قال تعالى : ﴿ولا تأكلوا أموالَكمْ بَينَكُم بالباطل﴾ البقرة ١٨٨

أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل ، والأكل بالباطل على وجهين : أحدهما : أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب ، والخيانة والسرقة . والثاني : على جهة الهزل واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك .

وفي صحيح البخاري : أن رسول الله ﷺ قال : «إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق ، فلهم النار يوم القيامة» .

وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ : «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب ! يارب ! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنّى يستجاب لذلك» .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله ! أدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال ﷺ : «ياأنس ! أطب كسبك تجب دعوتك ، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوماً» . ذكره المنذري من حديث ابن عباس كما في هامش الكبائر للذهبي .

وروى البيهقي بإسناده إلى رسول الله ﷺ : قال : «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، ولا يكسب عبد مالا حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن» . عزاه في الترغيب إلى رواية أحمد من حديث ابن مسعود وقال حسنها بعضهم كما في هامش الكبائر للذهبي ص١١٨ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه في حقه أثابه الله وأورثه جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان . ورب متخوض (فيما اشتهت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة» رواه البيهقي (المنذري) كما في الكبائر.

وذكر الذهبي في الكبائر ص ١١٨ : عن ﴿ﷺ﴾ أنه قال : «من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «لأن يجعل أحدكم في فيه ترابا خير من أن يجعل في فيه حراماً» . رواه أحمد .

وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : إن الشاب إذا تعبد ، قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه ، فإن كان مطعم سوء قال : دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه . إن اجهاده مع أكل الحرام لا ينفعه .

ويؤيد ذلك ماثبت في الصحيح من قوله ﴿ﷺ﴾ عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام ، فأنّى يستجاب لذلك ؟

وقد روى في حديث أن ملكاً على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة : «من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا» الصرف النافلة ، والعدل : الفريضة .

وقال عبدالله بن المبارك : «لأن أرد درهماً من شبهة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة» .

وجاء عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : «من حج بمال حرام فقال : لبيك ، قال ملك : لا لبيك ولا سعديك ، حجك مردود عليك» رواه الطبراني وفي سنده سليمان بن داود اليمامي : ضعيف (مجمع الزوائد) .

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمرو عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «من اشترى ثوباً بعشرة دراهم ، وفي ثمنه درهم من حرام ، لم يقبل الله له صلاة مادام عليه» .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «لا يقبل الله صلاة امرىء وفي

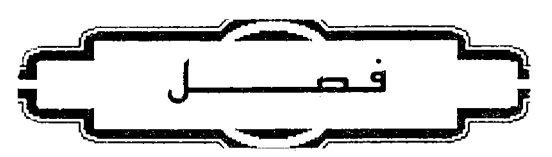
جوفه حرام ، حتى يتوب إلى الله تعالى منه» .

وقال سفيان الثوري : من أنفق الحرام في الطاعة كمن طهر الثوب بالبول ، والثوب لا يطهره إلا الماء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال .

وعن زيد بن أرقم قال : كان لأبي بكر رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج – أي قد كاتبه على مال – وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله : من أين أتيت بها ؟ فإن رضيه أكله وإلا تركه . قال فجاء ذات ليلة بطعام وكان أبوبكر صائماً . فأكل منه لقمة ونسي أن يسأله ، ثم قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة ، إلا أني خدعتهم ، فقال أبوبكر : أف لك كدت تهلكني ! ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : إنها لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شيء في بطنه ، فقيل له : يرحمك الله ! كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال رضي الله عنه : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» فخشيت أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة . رواه البخاري من حديث عائشة بدون الزيادة في آخره من شرب الماء الخ .. كما في الكبائر ص ١٢٠ .

قال العلماء : ويدخل في هذا الباب : المكاس ، والخائن ، والزغلي والسارق ، والبطال ، وآكل الربا وموكله ، وآكل مال اليتيم ، وشاهد الزور ، ومن استعار شيئا فجحده ، وآكل الرشوة ، ومنقص الكيل والوزن ، ومن باع شيئا فيه عيب فغطاه ، والمقامر ، والساحر ، والمنجم ، والمصور ، والزانية ، والنائحة والعشرية ، والدلال ، إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ، ومخبر المشتري بالزائد ومن باع حراً

فأكل ثمنه . كما في الكبائر ص ١٢٠ – ١٢١ .

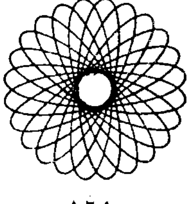


روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبال تهامة ، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثوراً ، ثم يقذف بهم في النار . فقيل يارسول الله ! كيف ذلك ؟ قال : كانوا يصلون ، ويصومون ، ويزكون ، ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم . رواه الطبراني (مجمع الزوائد) كما في الكبائر ص ١٢١ .

وعن بعض الصالحين أنه رؤي بعد موته في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيراً ، غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها .

هذا آخر ماذكره الذهبي رحمه الله في كتابه الكبائر في باب أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان

فنسأل الله تعالى العفو والعافية ، والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم رؤوف رحيم .



صديقة مؤمنة صالحة
نعمة عظيمة لك يا أختي!

أختي العزيزة ! اختاري الصديقات مثل التي ذكر الله تعالى صفاتهن من فوق سبع سماوات قائلا : ﴿مُسلِماتٍ مؤمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِداتٍ سائحاتٍ﴾ التحريم : ٥ .

وهكذا الذاكرات الله كثيرا ، والحافظات لفروجهن .

سبحان الله ! ماشأن هذه النساء وصفاتهن التي يحبها الله تعالى ويذكرها في كتابه المبارك ويبشر الله تعالى نبيه قائلا :

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا
خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

التحريم : ٥

إن اتصافك بالأوصاف التي ذكرت في الآية الكريمة يجعلك في مصافهن ، لكن إذا اتصفت بأوصاف الفاجرات والراقصات والمغنيات فإنك تلحقين بهن عصمك الله من ذلك .

وقد روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما أنا والنبي ﴿ﷺ﴾ خارجان من المسجد ، فلقينا رجل عند سُدة المسجد ، فقال : يارسول الله ! متى الساعة ؟ قال النبي ﴿ﷺ﴾ : «ما أعددتَّ لها ؟» فكأن الرجل استكان ، ثم قال : يارسول الله! ماأعددت لها كبير صيام ، ولا صلاةٍ ، ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله ، قال : «أنت مع من أحببتَ» البخاري كتاب الأحكام .

اعلمي ياأختي ! إذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيتها بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب المصطفى وأسوته ﴿ﷺ﴾ أثمرت هذه الشجرة أنواع الثمار التي تسر الناظرين .

وقال النبي ﴿ﷺ﴾ : «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل مالك إلا تقي» أخرجه الترمذي وأبوداود وأحمد انظر جامع الأصول ٦ /١٦ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﴿ﷺ﴾ : «المرء على دين خليله فلينظر من يخالل» رواه البخاري ورواه أبوداود في الأدب والترمذي في الزهد وقال إسناده حسن .

وفي الصحيح للإمام البخاري عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكِير الحداد : لا يَعدُمُك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكِيرُ الحداد يَحرِق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة» رقم الحديث ٢١٠١ باب العطار وبيع المسك .

وقال الحافظ في الفتح : ٤ /٣٨٠ : وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا ، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما . اهـ .

ونعم ماقاله الشاعر :

وَمَن رَبَط الحصان إلى حمار
تعلَّم بعد يومين النهيقا

أختاه ! اختاري لنفسك صديقة صالحة مؤمنة التي تعينك على الإيمان والأعمال الصالحة ، لكي لا تكون حسرة يوم يعضّ الظالم على يديه ويقول : ياليتني لم أتخذ فلانا خليلا .

أختـــاه !
إرجعي إلى ربك الآن

أختي ! وما نقول ليست فيك رغبة في طاعة الحق والبر ، بل نشكر الله سبحانه بأنك مسلمة أو مؤمنة وقلبك مملوء بشرر الإيمان – والحمد لله – ومثلك كمثل المصباح الذي مملوء من الزيت ويوجد فيه الفتيلة والمواد الذي يحتاج إلى تنويره ، ولكن انخفضت الفتيلة قليلا ، وتلبدت بالغبار ، وهذه الفتيلة تحتاج إلى أن ترفع قليلا وتنظف ، فعندما ترفع الفتيلة تنبعث الأنوار ، يضيء كل شيء ماحولها ، فترين بها الصراط المستقيم وتقتدين به ، فهذا هو القصد من الحياة .

اجترىء قليلا وصممي على طاعة الله ورسوله ﴿ﷺ﴾ وأقرّي من أعماق القلب بأنك ستعيشين الحياة الباقية على درب الدين الحنيف وتموتين على ذلك عملا على قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام : ١٦٢ .

واعلمي أختي العزيزة ! أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : « ...... وأن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الدين فقد أحبه ......» الحديث رواه البيهقي ورواه أحمد من حديث ابن مسعود وقال : قد حسنها بعضهم . راجع الكبائر للذهبي ص ١١٨ .

وإذا لم تعرفي قدر هذا الدين الحنيف ، وقدر هذه النعمة والرحمة ، وبادرت إلى تركها وردها فكيف يوفقك ربك لأخذها والعمل بها .

وصدق الله العظيم : ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ هود : ٢٨ .

تقربي إلى دين الله خطوة ، فالله كريم ، ورحيم سيغطيك برحمته ويقربك إليه زلفى .

ومثل ذلك كمثل الطفل الذي لا يستطيع السير ، فيسعى ويقوم ويسرع في المشي إلى الوالد و كاد أن يسقط ويقع على الأرض عند مشيه ، فيرفعه والده إلى حجره ويمسكه بالفور كي لا يسقط ، فهذه المسافة وإن لم يقطعها الطفل ولكنه سعى واجتهد في قطعها .

وهذا قول الفصل ليس بالهزل لربنا الرحمن بأنه يهدي من يجاهد في سبيله فقال : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت : ٦٩ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : أي لنبصرنهم سبلنا أي طرقنا في الدنيا والآخرة .

وعن الإمام أحمد ..... أن معناه : الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون . اهـ من التفسير لابن كثير .

وفي رواية لمسلم عن أبي ذر رضي الله عنه : «ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً ، تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ، ومن لقيني بقُراب الأرض خطايا لا يشرك بي شيئا ، لقيته بمثلها مغفرة» كما في المشكاة باب ذكر الله عزوجل.

ونعم ماقال الشاعر بالفارسية وترجمته :

يقول : إن الحمار المسكين وإن كان حيواناً لا عقل له ولا شعور لكي يعز بسببه ويرحم ، لكن يُعزّه ويرحمه مالكه عندما يحمل الأثقال والأوزان على ظهره .

فإذا كان الإنسان يحمل ثقل هذه الأمانة - وهو الدين - التي

عرضها الله تعالى على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فحملها الإنسان ، فكيف لا يكون الإنسان عزيزا عند الله سبحانه .

أختي العزيزة ! يجب أن يحل حب الله وحب رسوله ﴿ﷺ﴾ في قلبك ، ولابد من أن يوجد في قلبك ألم واحتراق لهذا الدين لأنه من المعلوم :

- ○ أن الماء لا يسيل إلا إلى الأسفل
- ○ والشفاء لا ينزل إلا على الداء والمرض
- ○ ولا يرد الجواب إلا في موضع توجد فيه المشكلة
- ○ ولا يوضع الدواء إلا في موضع الجرح والألم

واعلمي ياجوهرة الكون المكنونة ! أنك قد عشت حياة طويلة، ولعل التي بقيت من حياتك قليلة نظرا إلى ما مضت ، لأنك لا تدرين في أي حين ستركبين على أعناق الرجال ، وكلنا نعرف ماذا ارتكبنا من الذنوب والمعاصي إلى الآن ؟ وماذا نريد فيما بعد - أعاذنا الله منه - .

فعلينا الآن أن نعيش حياة جديدة ورشيدة ، وتبدأ هذه الحياة الجديدة بالتوبة والاستغفار على الذنوب السالفة مهما كانت صغيرة أو كبيرة ، لأن التوبة تحجب ما كان قبلها من الذنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها .

تضرعي إلى الله من قلب سليم وصميم ، وأقري بذنوبك أمامه صغيرها وكبيرها ، ثم اسألي العفو من الله بالأنين والبكاء والتضرع .

وقد ورد في الحديث القدسي أن الله تعالى يقول : «لأنين المذنبين أحبُّ إليَّ من زَجَلِ المسبِّحين» أورده الآلوسي في تفسيره تحت سورة القدر .

وإن لم تقدري على البكاء فتباكي أيتها الأخت ! وقد قال ﴿ﷺ﴾ : «يأأيها الناس ! ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول ، حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء ، فتقرح العيون فلو أن سفناً أزجيت فيها لجرت» رواه أبويعلى الموصلي ، ورواه ابن ماجه كما في التفسير لابن كثير ٢ /٣٧٨ .

وعن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : «ليس شيء أحبَّ إلى الله من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم يهراق في سبيل الله .....» الخ . رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب كما في المشكاة كتاب الجهاد .

وقال أحد شيوخنا : عندما يستورد الملك شيئا إلى بلده من الخارج فيقدره حق قدره ، لأن هذا الشيء ماكان موجوداً في بلده ، هكذا أيها الناس ! لا توجد الدموع في حضرة الله العظيمة فيقدرها الله حق قدرها ، فلما عين المذنب تسيل بالدموع يتوجه الله إليه بالرحمة والمغفرة ، لأن الدموع التي تسكبها عيون المذنبين ليست هيِّنة عندالله تعالى ، وهي حالة لا توجد لدى الملائكة لأنهم دائمو الذكر والعبادة لا يذنبون ، فخلق الله بني آدم تذنب[8] ثم تندم على المعاصي والذنوب ، لأن العباد حينما يرتكبون الذنوب فيتضرعون إلى الله ويندمون ويبكون على مافعلوا ويسألون العفو والمغفرة بسبب هذه الندامة فإن الله يغفر لهم ويقربهم إليه .

اسمعي يا أختاه ! عندما يقع الإنسان في الاثم ويرتكبه فإنه يسوِّد القلب ، ويستحوذ عليه ويتملكه ، وإلا كيف يستطيع الشيطان أن يستحوذ على قلب المؤمن وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ آل عمران: ١٥٥. أى ببعض ذنوبهم السالفة ، كما قال بعض السلف : «إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها» كما في التفسير لابن كثير .

وقال العلامة الألوسي في تفسير الآية المذكورة أعلاه : «لا مجال للشيطان على ابن آدم بالوسوسة إلا إذا وجد ظلمة في القلب» اهـ.

لكن عندما يتوب العبد إلى الله عزوجل توبة نصوحاً فإن هذه الندامة تضيء القلب ، ويفر الشيطان منه .

ومن يريد أن يطرد الشيطان من القلب فليسرع إلى التوبة ولا يتأخر ، وإلا فإن الشيطان يجعل هذا القلب محطة ومركزا

ومصدراً ، ويجلس فيه جلسة الملك الآمر ويفعل مايشاء ويلجمه لجام الحمار فيدوره حيث يشاء من أودية الذنوب والمعاصي ، وصدق الله العظيم : ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ النساء : ٣٨ .

ومن تاب – محققاً شروط التوبة المعروفة – ثم عاد لذنبه ، ثم تاب فإن الله يقبل توبته .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : «ما أصرَّ من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة» . رواه أبوداود في سننه باب في الاستغفار .

قوله : «ما أصرَّ من استغفر» : قال في النهاية : أصر على الشيء إصراراً ، إذا لزمه وداومه وثبت عليه ، وأكثر ما يستعمل في الشر والذنوب ، يعنى من اتبع الذنوب بالاستغفار فليس بمصر عليها وإن تكررت منه . اهـ .

وفي الصحيح للإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إن عبداً أذنب ذنباً ، فقال : رب أذنبت ذنباً فاغفره ! فقال ربُّه : أعَلِم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ، ثم مكث ماشاء الله ، ثم أذنب ذنباً ، قال : رب ! أذنبت ذنبا فاغفره ، فقال : أعَلِمَ عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ، ثم مكث ماشاء الله ، ثم أذنب ذنباً ، قال : رب ! أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي ، فقال : أعَلِم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدي ، فليفعل ماشاء» متفق عليه كما في المشكاة باب الاستغفار .

قوله : «فليفعل ماشاء» هذه الصيغة للتلطف وإظهار العناية والشفقة ، أى إن فعلت ماكنت تفعل ، فاستغفرت منه ، غفرت

لك فإني أغفر الذنوب ، وهذا معنى قوله ﷺ : «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة» كما في المرقاة شرح المشكاة.

أختي العزيزة ! اعلمي أن حضن رحمة الله هو حياة المؤمن ، إلى متى نفر منه وإلى أين ؟ لو بلغت ذنوبنا عنان السماء أو أكثر ، فنرضي ربنا بالتوبة الصادقة باكين خاشعين حتى تسيل الذنوب في سيل غفرانه وعفوه سبحانه .

فالبدار البدار إلى التوبة لا التسويف فيها ولا والتأخير ولو ارتكبنا المعاصي لا تعد ولا تحصى ، فهل لنا باب آخر غير باب الله ؟ كلا ، والله لا باب إلا باب الله سبحانه ، ونعم ماقال من قال :

من أي بحر غير بحرك نستقي ولأي باب غير بابك نقصد

وذكر ابن القيم رحمه الله في هذا الباب حكاية مشهورة عن بعض العارفين : أنه رأى في بعض السكك باباً قد فتح ، وخرج منه صبي يستغيث ويبكي ، وأمه خلفه تطرده ، حتى خرج ، فأغلقت الباب في وجهه ودخلت ، فذهب الصبي غير بعيد ، ثم وقف مفكراً ، فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه ، ولا من يؤيه غير والدته ، فرجع مكسور القلب حزيناً ، فوجد الباب مُرتجاً ، فتوسَّده ووضع خده على عتبة الباب ونام ، فخرجت أمه ، فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه ، والتزمته تقبِّله وتبكي وتقول :

يا ولدي ! أين تذهب عني ؟ ومن يؤوك سواي ؟ ألم أقل لك لا تخالفني ، ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة بك ، والشفقة عليك ، وإرادتي الخير لك ؟ ثم أخذته ودخلت . انتهت القصة .

وقال ابن القيم بعد ذلك : فتأمل قول الأم : «لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقة» .

وتأمل قوله ﴿ﷺ﴾ : «لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها» وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء ؟

فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه ، فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ماهو أهله وأولى به اهـ .

اعلمي أختي المستغفرة من الله والتائبة إليه : أن الاستغفار والتوبة من أهم مقاصد الشريعة .

وياأسفى على من يستغفر له فوق سبع سموات وهو غافل عن الاستغفار لنفسه والتوبة إلى الله ، وكيف لا ! وقد قال الله تعالى :

ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾

الغافر : ٧

وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ الشورى : ٥

هذا ماقيل في أهل السماء وهم يستغفرون لمن في الأرض جميعا وللمؤمنين خاصا ، وقد أمر الله تعالى لأهل الأرض وعلى رأسهم سيد ولد آدم ﴿ﷺ﴾ أن يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات قائلا : وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ . محمد : ١٩

والله سبحانه شجع وحرض أهل الأرض على التوبة والاستغفار شفقة عليهم ورأفة بهم ويقول لطفا بعباده : ﴿أفلا يتوبون إلى أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ المائدة ٧٤

ولم يقتصر ربنا سبحانه على هذا الكرم والجود والرحمة والمغفرة بل تاب على عباده ليتوبوا ولئلا يستحقوا البطش والسخط والعقاب الشديد ، قال التواب الرحيم : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة : ١٨ .

قال الحسن البصري رحمه الله : «انظروا إلى هذا الكرم والجود ! قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة» .

وقد روى أن عطاء السليمي رضي الله عنه رؤي بعد موته ، فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : قال لي : ياعطاء أما استحييت مني أن تخافني كل هذا ؟ أما بلغك أني غفور رحيم» الفتاوى لابن تيمية رحمه الله ج ١١ ص ٥ الطبعة الأولى .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ آل عمران : ١٣٥

ومن منن الله تعالى على أمة محمد ﴿ﷺ﴾ إمهاله للخائضين في أودية الذنوب والمعاصي الكبائر منها والصغائر ، ولا يخفى على أحد من الناس أننا نحن - إلا ماشاء الله فارون من خالقنا إلى شهواتنا وغارقون في الغفلة والسكرة ووالغون في المعاصي وهو سبحانه حليم لا يبطش بنا ولا يهلكنا حالا بل يمهلنا ويأمر نبيه ﴿ﷺ﴾ أن يعلن كرمه قائلا :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

الزمر : ٥٣

ومن كرم الله المتزايد على عباده : أنه يغفر الذنوب ويمحوها

من صحائف أعمالهم حتى لا يبقى لها أي أثر ، وإنا نرى في الدنيا أن المأخوذ في أي جرم إذا حبس في السجن أو عذب فإنه متى يخلص من السجن أو العذاب لا يُمحىٰ جرمه وذنبه من الدفاتر والسجلات ، بل يحفظ سجل جرمه في الدوائر الرسمية المختصة ، ولكن الله تعالى يغفر ذنوب عبده ويستر ويمحو بعد توبة العبد حتى لا يبقى له أي أثر في صحيفة أعماله . فنعم المولى ونعم النصير .

وجوده جل وعلا لا يقف عند حد بل : ﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ الفرقان : ٧٠ .

قال الحافظ ابن كثير مفسرا لهذه الآية : ٣ /٣٢٨ : إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر مامضى وندم واسترجع واستغفر انقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار . انتهى .

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ الزمر : ٥٣

قد دعا الله تعالى إلى مغفرته :

من زعم أن المسيح هو الله ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ المائدة ١٧

ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ التوبة : ٣٠

ومن زعم أن عزيراً ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ التوبة ٣٠

ومَن زعم أن الله فقير ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير﴾ آل عمران : ٣٠

ومن زعم أن يد الله مغلولة ﴿وقالت اليهود يدالله مغلولة﴾ المائدة : ٦٤

ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ المائدة : ٧٣

يقول الله تعالى لهؤلاء (الكفرة الفجرة) : ﴿أفَلَا يَتُوبُونَ إلى اللّهِ وَيستَغْفِرُونَه واللهُ غَفُورٌ رَّحِيم﴾ المائدة : ٧٤ .

ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء : من قال : ﴿أنا ربُّكُم الأعلَى﴾ النازعات : ٢٤ .

وقال : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إلٰهٍ غَيرِي﴾ القصص : ٣٨ انتهى ماذكره ابن كثير رحمه الله .

قال الراقم : إذا كان هذا لطف الله سبحانه مع أعدائه الكفرة الفجرة مع أنهم قتلوا أنبياءه ورسله وأولياءه وآذوهم ماآذوهم ، وهو يدعوهم إلى مغفرته ويقول : ﴿أفَلَا يَتُوبُونَ إلَى اللهِ﴾ ويقول : ﴿أفَنَضْرِبُ عنكُمُ الذِّكرَ صَفْحَاً أنْ كُنتُم قَوماً مُسرِفِين﴾ الزخرف : ٥ .

ويقول : ﴿يَا أيُّها الإنسانُ مَاغَرَّك بِربِّكَ الكَرِيم﴾ الانفطار : ٦ .

فما بالك في لطفه وكرمه تعالى بالمؤمنين الذين قال الله تعالى في شأنهم : ﴿اللّهُ وَليُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخرِجُهُمْ منَ الظُّلُماتِ إلَى النُّور﴾ البقرة:٢٥٧ .

وإذا كانت التوبة والاستغفار تنفع الكفار الأشرار فكيف لا تفيد المؤمنين الأبرار ؟

فاستغفروا ربكم أيها الناس وتوبوا إليه :

إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل

﴿لَكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ نوح : ١٠-١٤ اهـ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما كما ذكره الحافظ ابن كثير : «من آيس عباد الله التوبة بعد هذا فقد جهد كتاب الله عزوجل ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه» .

وأخرج ابن جرير عن أبي الجوزاء قال : اختلفتُ إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة ، فما من شيء من القرآن إلا سألته عنه ، ورسولي يختلف إلى عائشة رضي الله عنها ، فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول إن الله يقول لذنب : لا أغفره . الدر المنثور ٢ /١٦٩.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» رواه ابن ماجه ، وقال السيوطي : ورواه الحاكم عن أبي سعيد والبيهقي في شعب الإيمان وقال : تفردَ به النهراني وهو مجهول ، قال ابن حجر : مع هذا لا يضر لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل ، كما في المرقاة شرح المشكاة .

قوله : «كمن لا ذنب له» أى في عدم المؤاخذة ، بل قد يزيد عليه بأن ذنوب التائب تبدل حسنات ، ويؤيد هذا ماجاء عن رابعة رضي الله عنها أنها كانت تفخر على أهل عصرها كالسفيانين والفضيل وتقول : «إن ذنوبي بلغت من الكثرة مالم تبلغه طاعاتكم فبتوبتي منها بدّلت حسنات فصرتُ أكثر حسنات منكم» .

وفيه أن هذه حسنات تقديرية فأين هي من حسنات تحقيقية يترتب عليها الزيادة المضاعفة .

وعندي (صاحب المرقاة) أن حسنة واحدة من السفيانين مما يتعلق بنقل السنة التي يعمل بها إلى يوم القيامة تزيد على جميع حسنات رابعة ، وإنما كانا يتواضعان لها في الحضور عندها وطلب الدعاء منها اقتداءً به عليه الصلاة والسلام ، بل وربما كانا ينفعانها فيما تكون جاهلة في أمر دينها ، والله تعالى أعلم . راجع المرقاة الجزء الخامس ص ١٥٠ .

أختي العزيزة ! ناقشي نفسك وحاسبيها وسارعي إلى التوبة وبادري ، فإن الأجل مكتوم والدنيا غرور والنفس والشيطان عدوان ، وتضرعي إلى الله تعالى وابتهلي إليه واذكري حال أبينا آدم ﷺ خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وحمله إلى جنته لم يذنب إلا ذنبا واحداً فنزل به ما نزل :

حتى روى أن الله تعالى قال له ياآدم ! أي جار كنت لك ؟ قال : نعم الجار يارب ! قال : ياآدم ! اخرج من جواري ، وضع عن رأسك تاج كرامتي فإنه لا يجاورني من عصاني . مدارج السالكين للغزالي باب عقبة التوبة .

حتى إنه فيما روي بكى على ذنبه مائتى سنة حتى قبل الله توبته وغفر ذنبه الواحد . نفس المرجع .

قال الغزالي بعد ذكره : هذا حاله مع نبيه وصفيه في ذنب واحد فكيف حال الغير في ذنوب لا تحصى ، وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف بالمصر المتعسف ؟ ولقد أحسن من قال :

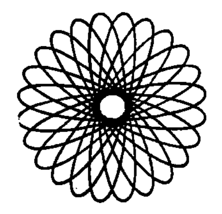
يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب

فإن تبت ثم نقضت التوبة وعدت إلى الذنب ثانيا فعد إلى التوبة مبادراً ، وقل لنفسك لعلي أموت قبل أن أعود إلى الذنب هذه المرة

وكذلك ثالثاً ورابعاً ، وكما اتخذت الذنب والعود إليه حرفة فاتخذ التوبة أيضا والعود إليها حرفة ، ولا تكن في التوبة أعجز منك في الذنب ، ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فإنه دلالة الخير ، أما تسمع قوله ﴿ﷺ﴾ : «خياركم كل مفتن تواب» أى كثير الابتلاء بالذنب ، كثير التوبة منه ، والرجوع إلى الله بالندامة والاستغفار ، وتذكر قوله سبحانه : ﴿وَمَن يَعمَل سُوءًا أو يَظْلِمْ نفسَهُ ثُمَّ يَستَغفِرِ اللهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ فهذه بهذه وبالله التوفيق . انتهى

مدارج السالكين للغزالي باب التوبة

والآن نذكر بعض قصص التائبين والتائبات الذين لا تستقر قلوبهم ولا تطمئن إذا علق بها ذنب حتى يتوب توبة ترجو منه تعالى أن قد غفر لها وتاب عنها ، وهذا هو شأن المؤمن كما قال ﴿ﷺ﴾ «يرى ذنبه كأنه قاعد تحت جبل ، والفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا بيده فذبه عنه كما ثبت في الحديث الصحيح .



توبة ماعز بن مالك الأسلمي وتوبة امرأة من غامد من الأزد

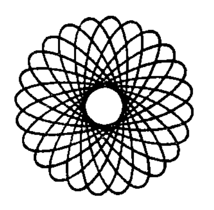
رضي الله عنهما

روى مسلم في صحيحه عن بريدة رضي الله عنه قال : جاء ماعز ابن مالك إلى النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : يارسول الله ! طهِّرني ، فقال : ويحك ارجع فاستغفر الله وتُب إليه ، قال : فرجع غير بعيد ثم جاء فقال : يارسول الله ! طهِّرني ، فقال النبي ﴿ﷺ﴾ مثل ذلك ، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﴿ﷺ﴾ : فيما أطهِّرك ؟ قال : من الزنا ، قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : أبه جنون ؟ فأخبر أنه ليس بمجنون ، قال : أشرِبَ خمراً ؟ فقام رجل فاستنكهه – أى شم رائحة فمه – فلم يجد منه ريح خمر ، فقال : أزنيتَ ؟ قال نعم ، فأمر به فرُجم ، فلبثوا يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال : «استغفروا لماعز بن مالك لقد تاب توبة لو قُسمت بين أمة لوسعتهم» .

ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد ، فقالت : يارسول الله ! طهِّرني فقال : ويحك ارجعي ، فاستغفري الله وتوبي إليه ، فقالت : تريد أن تُردّدَني – أى ترجعني كما ردَدْتَ ماعز بن مالك ، أنها حبلى من الزنا ، فقال : أنت ؟ قالت : نعم ، قال لها : حتى تضعين مافي بطنك ، قال – الراوي – : فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت ، فأتى النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : قد وضعت الغامدية ، فقال : إذاً لا نرجُمها وندع ولدَها صغيراً ليس له من يُرضعه ، فقام رجل من الأنصار ، فقال : إليَّ رضاعه يانبي الله ! قال : فرجمها .

وفي رواية : أنه قال لها : «إذهبي حتى تلدي ، فلما ولدت قال : اذهبي فارضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمتْه أتته بالصبي وفي يده كِسرة خبز ، فقالت : هذا يانبي الله قد فطمتُه ، وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها ، فتنضخ الدم - أي ترشش - على وجه خالد فسبَّها ، فقال النبي ﷺ : مهلا ياخالد ! والذي نفسي بيده ! لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلَّى عليها ودُفنت» رواه مسلم كما في المشكاة (كتاب الحدود) .

أختي العزيزة تأملي ! هذه أختك المؤمنة كيف حافظت على دين الله ودين نبيها ﷺ ؟ وكيف أروت شجرة الإسلام بدمها وحفظت حدودها ؟ وكيف كان قوة إيمانها بما أنزل الله من السماء من الحدود ، فعرضت نفسها أمام رسول الله ﷺ لتطهيرها لتلقى ربها غداً وهي بريئة من الذنوب والمعاصي كلها فهل إلى رجوع من سبيل بأن نتوب إلى الله ونستغفره ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب ؟ .



توبة العبد العاصي

رُوي أنه لحق بني إسرائيل قحط على عهد موسى عليه الصلاة والسلام ، فاجتمع الناس إليه ، فقالوا : ياكليم الله ! ادع لنا ربَّك أن يسقينا الغيث ، فقام معهم ، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون ، فقال موسى ﴿ﷺ﴾ : إلهي ! اسقنا غيثك ، وانشر علينا رحمتك ، وارحمنا بالأطفال الرُّضع ، والبهائم الرُّتع ، والمشايخ الرُّكع ، فما زادت السماء إلا تقشعا ، والشمس إلا حرارة ، فقال موسى : إلهي ! اسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك ، فأوحى الله إليه : ياموسى ! أن فيكم عبداً يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي ، فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم ، فبه منعتُكم ، فقال موسى : إلهي وسيدي ! أنا عبد ضعيف ، وصوتي ضعيف ، فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون ؟ فأوحى الله إليه : منك النداء ، ومني البلاغ ، فقام منادياً وقال : يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة ! أخرج من بين أظهرنا . فبكَ مُنعنا المطر ، فقام العبد العاصي ، فنظر ذات اليمين وذات الشمال ، فلم يَر ذات اليمين وذات الشمال ، فلم ير أحدا خرج ، فعلم أنه المطلوب ، فقال في نفسه : إن أنا خرجتُ من بين هذا الخلق افتُضحتُ على رؤوس بني إسرائيل ، وإن قعدتُ معهم مُنعوا لأجلي ، فأدخل رأسه في ثيابه نادماً على أفعاله ، وقال : إلهي وسيدي ! عصيتُك أربعين سنة وأمهلتني ، وقد أتيتك طائعاً فأقبلني ، فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه

القِرب ، فقال موسى : إلهي وسيدي ! بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد ؟ فقال : يا موسى ! سقيتكم بالذي به منعتكم ، فقال : موسى : إلهي ! أرني هذا العبد الطائع ، فقال: ياموسى ! إني لم أفضحه وهو يعصيني أأفضحه وهو يطيعني ؟ ياموسى إني أبغض النمامين ، أفأكون نمّاماً . كتاب التوابين لابن قدامة ص ٨٢ و ٨٣ .

تأملي يا أختاه!

في سعة رحمة الله على عباده من كانوا وحيث كانوا وكيف كانوا ، هذا العبد يبارز ربه بالمعاصي منذ أربعين سنة ، فرضي عنه في دقيقة واحدة وبكلمة واحدة .

فبادري إلى التوبة يا أختي!

وهذه سلسلة الاتصال السماوية مفتوحة أربعة وعشرين ساعة ، لا يحتاج إلى وقت خاص ، ولا إلى موظف سنترال ولا إلى وسائط للاتصال مع الله ومناجاته ، ولا إلى رفع السماعة ولا أرقام ولا إلى رفع الصوت وكلام لأنه يقول :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة : ١٨٦

بل لو تقولين في نفسك بدون تحريك اللسان وتتضرعين إليه وأنت على فراشك ، وأنت نادمة على أفعالك السالفة فتقولين يارب ! عفوك وسترك وقد أتيتك طائعة فأقبلني ! فإنه يسمع صوتك من فوق سبع سماوات فيفرح بتوبتك ويتوب عليك إن شاء الله .

توبة شاب مسرف على نفسه

وعن وهب بن منبه قال : كان في زمن موسى عليه السلام شاب عاتٍ مسرف على نفسه ، فأخرجوه من بينهم لسوء فعله ، فحضرته الوفاة في خربة على باب البلد ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إن وليا من أوليائي حضره الموت ، فاحضره وغسّله وصلِّ عليه ، وقل لمن كثر عصيانه : يحضر جنازته لأغفر لهم ، واحمله إليَّ لأكرم مثواه ، فنادى موسى في بني إسرائيل ، فكثر الناس ، فلما حضروه عرفوه ، فقالوا : يانبي الله! هذا هو الفاسق الذي أخرجناه ، فتعجب موسى من ذلك ، فأوحى الله إليه : صدقوا وهم شهدائي ، إلا أنه لما حضره الوفاة في هذه الخربة نظر يُمنة ويسرة فلم ير حميماً ولا قريبا ، ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة ، فرفع بصره إلي ، وقال : إلهي عبد من عبادك غريب في بلادك ، لو علمتُ أن عذابي يزيد في ملكك وعفوك عني ينقص من ملكك لما سألتك المغفرة ، وليس لي ملجأ ولا رجاء إلا أنت ، وقد سمعتُ فيما أنزلت أنك قلت : ﴿إنّي أنا الغَفُورُ الرَّحيمُ﴾ الحجر : ٤٩ ، فلا تخيِّب رجائي . ياموسى ! أفكان يحسن بي أن أرده وهو غريب على هذه الصفة ، وقد توسَّل إليَّ بي وتضرَّع بين يديَّ ! وعزتي ، لو سألني في المذنبين من أهل الأرض جميعا لوهبتهم له لذل غُربته ، ياموسى ! أنا كهف الغريب وحبيبه وراحمه . كتاب التوابين لابن قدامة ص٨٢ .

توبة ملك من ملوك البصرة وجاريته

روي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه كان يوما ماشيا في أزقة البصرة ، فإذا هو بجارية من جواري الملوك راكبة ومعها الخدم ، فلما رآها مالك نادى : أيتها الجارية ! أيبيعك مولاكِ ؟ قالت : كيف قلت ياشيخ ؟ قال : أيبيعك مولاك ؟ قالت : ولو باعني كان مثلك يشتريني ؟ قال : نعم ، وخيراً منك ، فضحكت وأمرت أن يحمل إلى دارها ، فحمل ، فدخلت إلى مولاها فأخبرته فضحك وأمر أن يدخل إليه ، فدخل ، فألقيت له الهيبة في قلب السيد ، فقال : ماحاجتك ؟ قال : بعني جاريتك ، قال : أوَ تطيق أداء ثمنها ؟ قال فثمنها عندي نواتان مسوستان ، فضحكوا وقالوا : كيف كان ثمنها عندك هذا ؟ قال : لكثرة عيوبها ، قالوا : وما عيوبها ؟

قال : إن لم تتعطر ذفرت ، وإن لم تستك بخرت ، وإن لم تمتشط وتدهّن قملت وشعثت ، وإن تعمّر عن قليل هرمت ، ذات حيض وبول وأقذار جمة ، ولعلها لا تودّك إلا لنفسها ، ولا تحبك إلا لشغفها بك ، لا تفي بعهدك ، ولا تصدق في ودك ، ولا يخلف عليها أحد من بعدك إلا رأته مثلك ، وأنا آخذ بدون ما سألت في جاريتك من الثمن جاريةً خلقت من سلالة الكافور ، لو مزج بريقها أجاج - أي ملح ومر - لطاب ، ولو دُعي بكلامها ميت لأجاب ، ولو بدا معصمها للشمس لأظلت دونه ، ولو بدا في الليل لسطع نوره ، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتزخرفت ، نشأت بين رياض المسك والزعفران

وقصرت في أكنان النعيم ، وغذيت بماء التسنيم - أي أشرف شراب الجنة وأعلاها - فلا تخلف عهدها ، ولا يتبدل ودها . فأيهما أحق برفعة الثمن ؟ قال : التي وصفتَ ، قال : فإنها الموجودة الثمن القريبة المخطب ، قال : فما ثمنها رحمك الله ؟ قال : اليسير المبذول ، أن تفرّغ ساعة في ليلتك فتصلي ركعتين تخلصهما لربك ، وأن يوضع طعامك فتذكر جائعك فتؤثر الله على شهوتك ، وأن ترفع عن الطريق حجراً أو قذراً ، وأن تقطع أيامك بالبلغة ما يتبلغ به من العيش ، وترفع همتك عن دار الغفلة ، فتعيش في الدنيا بعز القنوع ، وتأتي غداً إلى موقف الكرامة آمنا ، وتنزل غدا في الجنة مخلداً .

فقال الرجل : ياجارية ! أسمعت ماقال شيخنا هذا ؟ قالت : نعم قال : أفصدق أم كذب ؟ قالت : بل صدق وبر ونصح ، قال : فأنت إذا حرّة لوجه الله ، وضيعة كذا وكذا صدقة عليك ، وأنتم أيها الخدام ! أحرار وضيعة كذا وكذا لكم ، وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي في سبيل الله ، ثم مد يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتبذ به ، وخلع جميع ماكان عليه واستتر به .

قالت الجارية : لا عيش لي بعدك يامولاي ! فرمت بكسوتها ولبست خشنا وخرجت معه ، فودعهما مالك ودعا لهما ، وأخذ طريقا ، وأخذا غيره ، فتعبدا جميعا حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة رحمة الله عليهما» .

من كتاب التوابين لابن قدامة ص ١٤٦

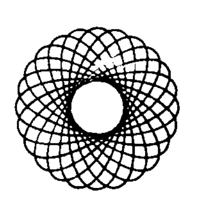
فكري ياأختاه : كيف تأثر على الملك وجاريته جلسة واحدة مع الرجل الصالح ، بدل حياتهما من القذر إلى الطهارة ومن سخط الله إلى رضوانه وماتا على عبادة الله .

فلذا نقول لك ياأختي ! اتخذي مجالسة المؤمنات الصالحات التائبات إلى الله ، واحترزي من مجالسة الطالحات والفاحشات اللاتي يردن الحياة الدنيا وزينتها ولا يردن الله ورسوله ﷺ ، فتؤثر عليك صحبتهن فتفوزين في حياتك وبعد موتك إن شاء الله .

توبة دينار العيار عن المعاصي على يد والدته

روى أن رجلا كان يُعرف بـ«دينار العيَّار» ، كانت له والدة تعظه ولا يتعظ ، فمر في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام ، فأخذ منها عظماً نخراً فانفتّ في يده ، ففكر في نفسه ، وقال لنفسه : ويحك ! كأني بك غدا قد صار عظمك هكذا رُفاتا والجسم تراباً ، وأنا اليوم أقدم على المعاصي ، فندم وعزم على التوبة ، ورفع رأسه إلى السماء وقال : إلٰهي ! إليك ألقيت مقاليد أمرى ، فأقبلني وارحمني ثم مضى نحو أمه متغير اللون ، منكسر القلب ، فقال : ياأماه ! مايصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده ؟ فقالت : يخشّن ملبسه ومطعمه ويغلّ يده وقدمه ، فقال : أريد جبة من صوف وأقراصاً من شعير [8] وتفعلين بي كما يُفعل بالآبق ، لعلَّ مولاي يرى ذُلّي فيرحمني ، ففعلت ماطلب ، فكان إذا جنه الليل أخذ في البكاء والعويل ، ويقول

لنفسه : ويحك يادينار ! ألك قوة على النار ؟ كيف تعرَّضت لغضب الجبار ؟ وكذلك إلى الصباح ، فقالت أمه في بعض الليالي : ارفق بنفسك ، فقال : دعيني أتعب قليلًا لعلي أستريح طويلًا ، يا أمي ! إن لي موقفا طويلا بين يدي رب جليل ، ولا أدري يؤمر بي إلى الظِّل الظليل أو إلى شر مقبل ، إني أخاف عناءً لا راحة بعده ، وتوبيخا لا عفو منه ، قالت : فاسترح قليلا، فقال : الراحة أطلب ؟ أتضمنين لي الخلاص ؟ قالت : فمن يضمنه لي ؟ قال : فدعيني وما أنا عليه ، كأنك ياأماه ! غدا بالخلائق يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار ! فمرت به في بعض الليالي في قراءته ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ سورة الحجر : ٩٢ - ٩٣ ، ففكر فيها ، وبكى وجعل يضطرب كالحية حتى خر مغشياً عليه ، فجاءت أمه إليه فنادته ! فلم يجبها ، فقالت : قُرَّة عيني ! أين الملتقى ؟ فقال بصوت ضعيف ، إن لم تجديني في عرصة القيامة فاسألي مالكاً - يريد مالكاً خازن النار - عني ، ثم شهق شهقة مات فيها ، فجهزته وغسلته ، وخرجت تنادى : أيها الناس ! هلمُّوا إلى الصلاة على النار ، فجاء الناس ، فلم يُر أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم» كتاب التوابين لابن قدامة ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .



توبة رجل عن حب مغنية شغله الله

وقال علي بن الحسين : كان لنا جار من المتعبدين قد برز في الاجتهاد ، فصلى حتى تورمت قدماه وبكى حتى مرضت عيناه ، فاجتمع إليه أهله وجيرانه يسألونه أن يتزوَّج ، فاشترى جارية وكانت تغني وهو لا يعلم ، فبينا هو ذات يوم في محرابه يصلي ، رفعت الجارية صوتها بالغناء ، فطار لبَّه ، فرام - أى قصد - ماكان عليه من العبادة فلم يطق ، فأقبلت الجارية عليه ، فقالت : يامولاي ! لقد أبليت شبابك ورفضتَ لذات الدنيا أيام حياتك فلو تمتعت بي ! فمال إلى قولها واشتغل باللذات عمَّا كان فيه من التعبد ، فبلغ ذلك أخاً له كان يوافقه على العبادة فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الناصح الشفيق والطبيب الرفيق ...... إلى من سُلب حلاوة الذكر والتلذذ بالقرآن ، والخشوع والأحزان ... السلام عليكم

بلغني أنك اشتريت جارية بِعتَ بها من الآخرة حظَّك ، فإن كنت بعت الجزيل بالقليل والقرآن بالقيان ، فإني محذِّرك هادم اللذات - الموت - ومنغص الشهوات وموتِمَ الأولاد ، فكأنه قد جاء على غرة فأبكم منك اللسان ، وهدم منك الأركان ، وقرَّب منك الأكفان ، واستوحشك الأهل والجيران ، وأحذِّرك من الصحبة إذا جثت الأمم لهول ملك الجبار . فاحذر ياأخي ! مايحل بك من ملك غضبان .

ثم طوى الكتاب وأنفذه إليه ، فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره ، فغض بريقه وأذهله ذلك ، فنهض مبادراً من مجلس

سروره وكسر آنيته وهجر جاريته وآلى أن لا يطعم الطعام ولا يتوسد المنام .

قال الذي وعظه : فلما مات رأيته في المنام بعد ثلاث ، فقلت : مافعل الله بك ؟ قال : قدمنا على رب كريم أباحنا الجنة وقال :

الله عوّضني ذو العرش جارية حوراء تسقيني توزا وتهنيني
تقول لي اشرب بما قد كنت تأملني وقرَّ عينا مع الولدان والعين
يامن تخلّى عن الدنيا وأزعجه عن الخطايا وعيد في الطواسين

كتاب التوابين لابن قدامة ص ٢٨٤ - ٢٨٥

توبة شيخ مهلبي وجاريته عن الشراب والضرب بالعود

ذكر ابن قدامة ...... قدم رجل من المهالبة من البصرة أيام البرامكة في حوائج له ، فلما فرغ منها انحدر إلى البصرة ومعه غلام له وجارية فلما صار في دجلة إذا بفتى على ساحل دجلة ، عليه جبة صوف وبيده عكازة ومزود ، قال : فسأل الملاح أن يحمله إلى البصرة ويأخذ منه الكراء ، قال : فأشرف الشيخ المهلبي ، فلما رآه رق له ، فقال للملاح : قرب واحمله معك على الظلال ، فحمله ، فلما كان في وقت الغداء دعا الشيخ بالسفرة ، وقال للملاح : قل للفتى ينزل إلينا ، فأبى عليه ، فلم يزل يطلب إليه حتى نزل ، فأكلوا ، حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم ، فمنعه الشيخ حتى توضؤوا ، دعا بركوة - زق للخمر والخل - فيها شراب فشرب قدحاً ، ثم سقى الجارية ، ثم عرض على الفتى ، فأبى وقال : أحب أن تعفيني ، قال : قد أعفيناك ، اجلس معنا ، وسقى الجارية ، وقال هاتي ماعندك ، فأخرجت عوداً لها في كيس

فهيأته وأصلحته ، ثم أخذت فغنت ، فقال : يافتى تحسن مثل هذا ؟ قال : أحسن ما هو أحسن من هذا ، فافتتح الفتى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ

النساء : ٧٧-٧٨

وكان الفتى حسن الصوت ، قال : فرجَّ الشيخ بالقدح في الماء وقال : أشهد أن هذا أحسن مما سمعت ! فهل غير هذا ؟ قال : نعم :

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

الكهف : ٢٩

قال : فوقعت من قلب الشيخ موقعا ، قال : فأمر بالركوة - وهو إناء للماء من جلد خاص - فرمى بها وأخذ العود فكسره ، ثم قال : يافتى ! هل هاهنا فرج ؟ قال : نعم :

۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

الزمر : ٥٣

قال : فصاح الشيخ صيحة خر مغشيا عليه ، فنظروا فإذا الشيخ قد ذاق الموت ، وقد قاربوا (البصرة) قال : فضج القوم بالصُّراخ واجتمع الناس ــ وكان رجلا من المهالبة معروفا - فحمل إلى منزله ، فما رأيت جنازة كانت أكثر جمعا منها .

قال : فبلغني أن الجارية المغنية تدرَّعت الشَّعر ، وفوق الشعر

جبة صوف ، وجعلت تقوم الليل وتصوم النهار ، فمكثت بعده أربعين ليلة ، ثم مرت بهذه الآية في بعض الليالي :

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ الكهف : ٢٩

قال : فأصبحوا ، فأصابوها ميتة» كتاب التوابين لابن قدامة ص ٢٧١ /٢٧٣.

ذكر سعة رحمة الله

هذا وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ٥ /١٣٨ قصة قارون التي تدل على رحمة الله الواسعة وهي :

أخرج عبدالرزاق وابن أبي حاتم عن عبدالله بن الحرث رضي الله عنه قال : بلغنا أن قارون أوتي من الكنوز والمال حتى جعل باب داره من ذهب ، وجعل داره كلها من صفائح ، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون ، يطعمهم الطعام ويتحدثون عنده ، وكان مؤذيا لموسى عليه الصلاة والسلام ، فلم تدعه القسوة والهوى حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مذكورة بالجمال كانت تذكر بريبة ، فقال لها : هل لكِ أن أموِّلك وأعطيك وأخلطك بنسائي ؟ على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي ، فتقولين : ياقارون ! ألا تنهي موسى عني ، فقالت : بلى ، فلما جاء أصحابه واجتمعوا عنده دعا بها فقامت على رؤوسهم ، فقلب الله قلبها ورزقها التوبة ، فقالت : ماأجد اليوم توبة أفضل من أنا أكذب عدو الله وأبرى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقالت : إن قارون بعث إلي ، فقال : هل لك

أن أموّلك وأعطيك وأخلطك بنسائي على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي وتقولين : ياقارون ! ألا تنهى موسى عني ، فإن لم أجد اليوم توبة أفضل من أن أكذب عدو الله وأبرىء رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، فنكس قارون رأسه وعرف أن قد هلك ، وفشا الحديث في الناس حتى بلغ موسى عليه الصلاة والسلام ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام شديد الغضب ، فلما بلغه توضأ ثم صلى وسجد وبكى وقال : يارب ! عدوك قارون كان لي مؤذيا فذكر أشياء ثم لم يتناه حتى أراد فضيحتي ، يارب ! سلطني عليه ، فأوحى الله إليه أن مُر الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى قارون فلما رآه قارون عرف الغضب في وجهه ، فقال : ياموسى ! ارحمني ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام : ياأرض ! خذيهم، فاضطربت داره وخسف به وبأصحابه حتى تغيبت أقدامهم وساخت دارهم على قدر ذلك ، فقال قارون : ياموسى ! ارحمني ، فقال : ياأرض خذيهم ، فاضطربت داره وخسف به وبأصحابه إلى ركبتهم وساخت داره على قدر ذلك ، وجعل يقول : ياموسى ؟ ارحمني ، ويقول موسى : ياأرض ! خذيهم فاضطربت داره وخسف به وبأصحابه إلى سرتهم وساخت داره على قدر ذلك ، وجعل يقول : ياموسى ! ارحمني ، فقال : ياأرض خذيهم ، فخسف به وبداره وبأصحابه ، فلما خسف به قيل له : ياموسى ما أفظك ؟ أما وعزتي لو إياي دعا لرحمته . اهـ .

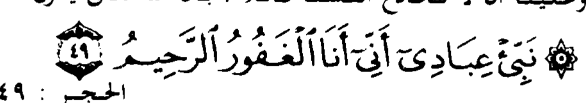
وفي رواية : .... فأوحى الله إلى موسى : استغاث بك فلم تغثه ، وعزتي وجلالي لو قال : يارب لرحمته . اهـ من الدر المنثور .

أيهـــا النـــاس !

هكذا رحمة ربي الواسعة ، ويغني عن الجميع إعلانه سبحانه بقوله : ﴿ورَحمَتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيء﴾ الأعراف: ١٥٦ .

وأخبر بقوله : ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ الأنعام : ١٢ ، فإن هذا وعد من الله عزوجل ، وهو لا يخلف على خلقه الوعد ، وهو صادق المقال على كل حال .

وعلينا أن لا نخادع أنفسنا قائلا : بأن الله تعالى يقول :



الحجر : ٤٩

ونفعل ما نشاء ونتعدى حدود الله ، ثم يغفر الله لنا لأنه يقول أنا الغفور الرحيم .

انتبهي على ذلك يا أختاه!

وقد ذكر أبو عمرو بن العلاء : بلغني أن الفرزدق جلس إلى قوم يتذاكرون رحمة الله (الواسعة) فكان أوسعهم في الرجاء صدراً فقالوا له : لم تقذف المحصنات ؟

فقال : أخبروني لو أذنبت إلى والدي ما أذنبته إلى ربي عز وجل ، أتراهما كانا يطيبان نفسا أن يقذفاني في تنور مملوء جمراً؟

قالوا : لا إنما كانا يرحمانك .

قال : فإني أوثق برحمة ربي منهما .

قلت : (أي ابن الجوزي) : وهذا هو الجهل المحض ، لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ، ولو كانت كذلك لما ذبح

عصفور ، ولا أميت طفل ، ولا أدخل أحد إلى جهنم .

والخطأ هنا من وجهين

أحدهما : أنه نظر إلى جانب الرحمة ، ولم ينظر إلى جانب العقاب .

الثاني : أنه نسي أن الرحمة إنما تكون للتائب كما قال تعالى : ﴿وإنّي لغفّار لمَن تابَ وآمن وعَملَ صالحاً ثم اهتدىٰ﴾ طه : ٨٢ . وقال : ﴿ورَحمَتِي وسِعتْ كُل شيء فسأكْتُبُها للّذينَ يتَّقُونَ﴾ . «تلبيس إبليس» ٣٩١ - ٣٩٢ لابن الجوزي طبع دار الندوة بيروت .

وما أحسن ماكان يدعو به الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : فإنه كان يقول : «يا من وسعت رحمته كل شيء ! أنا شيء فلتسعني رحمتك ياأرحم الراحمين» .

وقال الشوكاني رحمه الله : قلت أنا : «يا من كتب على نفسه الرحمة لعباده ! إني من عبادك فارحمني يا أرحم الراحمين» كما في تحفة الذاكرين للشوكاني رحمه الله .

وقد أمر الله تعالى نبيه ﴿ﷺ﴾ أن يعلن بقوله :

۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

فهل من مدكر

يتوب إلى الله بعد سماع هذا الإعلان الإلهي ؟ أو يدخل تحت طائل قوله تعالى :

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ المائدة ٤١ - ٤٢

أو قوله تعالى : خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ البقرة : ٧

أو قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾

الأعراف : ١٤٦

أو قوله وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

الأعراف : ١٧٩

اللهم لا تجعلنا من هؤلاء الذين ماأردت بتطهير قلوبهم.
ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفرلنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .

آمين يارب العالمين

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابن عائشة
أبو طلحة محمد يونس عبدالستار
ص ب : ١١٠١ المدينة المنورة
ت المكتب ٨٣٦٨٣٨٢ (-٤ -٠٠٩٦٦)
فاكس ٨٣٨٣٤٢٦ ت المنزل ٨٣٨٠٥٣٧ (٤ -٠٠٩٦٦)
مكة المكرمة : تليفون : ٥٤٢٤٢٨٠
المملكة العربية السعودية

وصية الوالدة المحترمة

أكبر ملك وثروة في الدنيا والآخرة هو كلمة :



اعطوا حقها واقدروها حق قدرها مادمتم أحياء

أثناء المعالجة عندما ساءت حالة الوالدة - رحمها الله - في منزلنا بالمدينة المنورة ، قال أخي الصغير محمد إسحاق عبدالستار - المقيم بمكة المكرمة - للوالدة وهي مسندة بصدره : أوصينا يا أماه ! كي نتمسك بها في الحياة .

فقالت بصوت رفيع : أوصيكم بقول ﴿لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وفهمها والعمل بمقتضاها فهي أكبر ملك وثروة في الدنيا والآخرة ، أدوا حقها واقدروها حق قدرها ما دمتم أحياء احيوا عليها وموتوا عليها ، واختاروا الأولياء والأصدقاء الصالحين من المصلين فإنهم يساعدونكم في الحسنات .

عندما أوصت الوالدة الوصية فكرنا ياليتنا نسجل هذه الوصية ولكن ماكانت لدينا آلة تسجيل ولا تلفاز ولا فيديو والحمد لله ، فاستعرنا آلة تسجيل من جارٍ لنا ، وقلت لوالدتي مرة ثانية كي أسجل وصيتها : أمَا قلت لنا أن ﴿لا إله إلا الله محمد رسول الله﴾ أكبر ملك وثروة أدوا حقها كما يجب ؟ قالت : نعم ، وهكذا قلت ، ثم أنشدت بيتين في اللغة الباكستانية وهذه ترجمته :

(١) امسكوا سيف كلمة الحق واضربوا هامة أعداء الله من الكفار والمشركين .

(٢) ولا تستغيثوا إلا بالله ، لو ظللتم قائمين على هذا ستصلح أحوالكم ، وتكونوا من الفائزين في الدارين .

ثم سجلنا بعض الأحاديث المنزلية والوصايا للأقارب .

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

